BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

المسلـــم والآخـــر

فتحي أبو عيانة:

نستهل هذه الأمسية الثقافية في إطار منتدى الحوار الذي تنظمه مكتبة الإسكندرية، وبهذه المناسبة؛ مناسبة ذكر مكتبة الإسكندرية، تعلمون جميعًا أنها تحتفل في شهر أكتوبر ٢٠٠٧ بمرور خمس سنوات على بداية نشاطها في هذه المدينة وفي هذا القطر وفي الوطن العربي بأكمله، وربما تكون هذه المناسبة أول مناسبة نسجي فيها تهنئة حارة لمكتبتنا جميعًا؛ مكتبة الإسكندرية، ومن حسن الطالع نهنئ مكتبة الإسكندرية بعيدها الخامس، وفي نفس الوقت نلتقي مع واحد من كبار مثقفي عالمنا العربي والإسلامي الذي نحظى بشرف وجوده معنا. هناك الكثير الذي أستطيع أن أقوله عن الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، باحثًا ومحققًا ومدققًا ومفكرًا، لكنه آثر ألا أتحدث عنه إلا بكلمات موجزة لا تتجاوز عشر كلمات، فقد طلب ألا أقدمه إلا بالآتي:

الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، المحامي بالنقض، والأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيس جمعية مصر للثقافة والحوار... وكفى. ولا أخفي عنكم سرًّا أنني حصلت على سيرته الذاتية من شبكة المعلومات الدولية، فوجدتها صفحات وصفحات، آثر هو ألا أذكر منها شيئًا إلا ما ذكرته لكم.

سوف نتحدث عن موضوع في غاية الأهمية وهو عن "المسلم والآخر"، وتعلمون جميعًا أننا نعيش عصر صراعات فكرية ودينية على الساحة العالمية، وإذا كنا نبحث عمن يحدثنا عن فحوى

ومغزى هذا كله وعن رؤية الإسلام للآخر ومن هو الآخر وكيف نتعامل معه وكيف أن الآخر يمكن أن يكون حليفًا وصديقًا حتى مع اختلاف الدين، فليس أفضل من الدكتور محمد سليم العوا.

محمد سليم العوا:

أيها الأخوات والأخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حتى هذا الذي قاله أخي الدكتور فتحي أبو عيانة كثير لتقديم محاضر، أنا ممن يعتقدون أن المحاضر يجب أن يقدم نفسه بما يقول، لأننا كثيرًا ما نستمع إلى صفحات مطوَّلة من السيرة الذاتية الجيدة، ثم إذا تكلم المتكلم وجدناه لا يمتعنا بقدر ما أمتعتنا سيرته الذاتية، وقد نستمع إلى شخص لا نعرف عنه شيئًا ثم يكون كلامه كالشهد المصفى، وقديما قال عمر بين الخطاب: "أرى الرجل فيعجبني حتى إذا تكلم سقط من عيني وأرى الرجل فأزدريه (أي أحتقره) حتى إذا تكلم أكبرته وندمت"، أي ندم على أنه ازدراه في أول الأمر لأنه أخذ بالظاهر، والسيرة الذاتية كلها ظاهر والدليل على ذلك كونها من الشبكة الدولية للمعلومات بمعنى أنها متاحة للكافة. والذي ينبغي لمثلي إذا كان مع أمثالكم من أهل مدينته وأبناء بلدته وبعض أقربائه وأصدقائه أن يكون باطنيا وألا يكون ظاهريا، وأنا لا أقصد هنا الباطنية الطائفية أو المذهبية، ولكنني أقصد أن يتحدث الإنسان بما يؤمن به ويعتقده ويظن ظنًّا غالبًا أنه الصدق الذي ينجيه أمام رب العالمين سبحانه وتعالى؛ وبعد ذلك يرضى من الناس من يرضى ويسخط منهم من يسخط؛ لأن رضا الله سبحانه أولى من رضا الناس، والخوف من سخطه أهم ألف مرة، بل أكثر، من الخوف من سخط الناس.

إن الموضوع الذي دعاني إخواني في منتدى الحوار إلى الحديث فيه موضوع مستمر لا يتوقف الكلام فيه عند محاضرة ولا عند موسم ثقافي ولا في جيل من الأجيال، ولكنه موضوع يتجدد كل يوم؛ موضوع "المسلم والآخر". إن كلمة الآخر كلمة جديدة على أدبياتنا ولغتنا، كنا في وقت مضى نعرف المسلم وغير المسلم ونميز بين الناس بأديانهم لأن طريقة التمييز بين الناس تكون بعقائدهم، فكنا نقول هذا مسلم وهذا مسيحي وهذا يهودي وهذا بوذي وغير ذلك، وكنا نميز في داخل الدين الواحد بين المذهبيات، فكنا نقول هذا مسلم سنيّ حنفي وهذا مسلم سنيّ شافعي وذاك سنيّ حنبليّ وهذا سنيّ مالكي، ثم هذا مسلم شيعيّ إماميّ وهذا زيديّ ... إلى آخره، كنا ننسب الناس إلى المذاهب، ونفعل الشيء نفسه في المسيحية وفي اليهودية. ثم تطورت الدنيا، وأصبح الناس ينتسبون إلى البلدان، فيُقال هذا مصري وهذا سوري وهذا سوداني وهذا فرنسي وهذا إنجليزي، وهي نسبة لعلها لا معنى لها إلا تلك السيطرة الطاغية للمؤسسة التي تُسمى الدولة التي احتكرت القوة والقانون وجعلت الخلق أجمعين يخضعون لها شاءوا أم أبَوْا، حتى في أسمائهم، يحملون اسم الدولة التي ينتمون

إليها وينسون أسماء قبائلهم وآبائهم وأجدادهم. مع أن النسب ديوان العرب. وكان ينبغي على كل عربي أن يبقى محتفظًا بأصله وفصله ليدلي لآبائه وأجداده إدلاء الشرف والافتخار أو ليحسَّن ما فات هؤلاء الآباء وأولئك الأجداد من دواعي الشرف ومباعث الاعتزاز. إن الآخر هو ما سوى النفس؛ ما سوى الذات؛ ما سوى المتكلم، فأنا الآن أتكلم وبجواري أخي الدكتور فتحي أبو عيانة هو آخر بالنسبة إلي، وأنا أتحدث إلى الحاضرين وأنا آخر بالنسبة إليهم؛ الآخر هو كل ما سوى الذات، فإذا نُسب هذا الآخر إلى المسلم، كان الكلام على ما سوى الذات المسلمة.

ومن هو المسلم؟ إنه من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ ثم، يسع الناس بعد أن يؤمنوا بهاتين الشهادتين، إيمانًا تصدقه القلوب والأعمال، أن يختلفوا في آلاف بل في ملايين الفروع، مادام هذا الأصل محفوظًا ثابتًا لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه ولا يتزعزع بتغير الدهور وتوالي الأيام.

وهذا المسلم ينظر إلى غيره من الناس من وجهتَي نظر، إما أن ينظر إلى غيره من وجهة نظر أنه يعتنق دينًا سماويًّا أنزله الله تعالى على نبي من الأنبياء قبل محمد ﷺ، أو من وجهة نظر أنه لا يعتنق أي دين وكون الإنسان كافرًا أو ملحدًا أو مشركًا أو يعبد الأوثان كما كان الناس في زمن النبي ﷺ. ونحن معشر المسلمين في القرن الخامس عشر الهجري، الحادي والعشرين الميلادي، لا نحتاج إلى اختراع جديد ولا اكتشاف غير مسبوق لنتعامل به مع الآخر. لقد جاء نبينا ﷺ إلى هذه الدنيا وعاش فيها قبل البعثة أربعين سنة وهو واحد من الناس، شأنه شأنهم، ليس آخر بالنسبة إليهم، وليسوا آخر بالنسبة إليه، حتى كان وقت بعثته، وإنزال الوحي إليه، وتنبئته، وتكليفه بتبليغ الناس آخر رسالات السماء إلى الأرض، ومن هذه اللحظة التي بدأت في غار حراء، أصبح العالم كله بالنسبة إلى محمد ﷺ آخر، كان وحده هو المسلم وكان العالم كله بالنسبة إليه آخر أو غير مسلم، ماذا يفعل محمد ﷺ في هذا الآخر؟ هل ينظر إليه نظرة استكبار واستعلاء وشعور بأنه اصطُفي بالرسالة الخاتمة فينبغي أن يحتقر الخلق أجمعين؟ أم ينظر إليهم نظرة التميز العقَدي فقط التي تميزه عنهم وتميزهم عنه بما يعتقد وبما يعتقدون؟ لقد أمر القرآن الكريم النبي ﷺ أن يقول لمشركي العرب الذين كانوا يعبدون أوثانًا لا حصر لها ولا عدد؛ حتى قيل إنها كانت يوم فتح مكة ثلاثمائة وخمسة وستين صنمًا، أمره الله أن يقول لهؤلاء: ﴿لَكُمْ دِينُكُم﴾ وسمى عبادة هذه الأوثان العديدة دينًا، ثم قال ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ هكذا على قدم المساواة، بالطبع قال لهم في السورة نفسها ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ*وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ لكن في النهاية سمى ما يعبدونه من هذه الأوثان العديدة دينًا، وسمى ما نزل من السماء، أيضًا، دينًا.

وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة قضاها في مكة، أملى وثيقة تاريخية عظيمة مشهورة اسمها "دستور المدينة" أو "وثيقة المدينة" أو "صحيفة المدينة"، في هذه الوثيقة قال النبي ﷺ: "وأن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم"، هكذا على قدم المساواة، والمقصود بالمؤمنين من جاءوا مع محمد ﷺ من مكة المكرمة ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، هؤلاء لهم دينهم الذي هو الإسلام، ولليهود الذين كانوا قد جاءوا واستعمروا أجزاءً من المدينة المنورة في خيبر وفي بني قريظة وفي غيرها دينهم. بل كان النبي ﷺ فيما يُروى عنه يقول دُبُر كل صلاة، أي في أعقاب كل صلاة دعاءً جميلاً: "وأشهد أن العباد كلهم إخوة"، يشهد لله بعد كل صلاة أن العباد كلهم إخوة، لم يقل المسلمين أو المسلمين وأهل الكتاب أو المسلمين والوثنيين ولا العرب والعجم، بل العباد كلهم. بل نادى الناس في آخر نداء عام بينه وبين الخلق في خطبة الوداع فقال لهم: "كلكم لآدم وآدم من تراب"، و لم يقل يومئذٍ "يا أيها المسلمون" على الرغم من أنه لم يكن في عرفة في هذا اليوم إلا من جاء حاجًّا من المسلمين، بعد أن انقطع المشركون من هذه المنطقة من العالم، ومع ذلك خاطب المسلمين المؤمنين أتباعه بقوله: "يا أيها الناس" لكي يكون خطابًا للبشرية كلها.

إنَّ وحدةَ الأبوةِ، أبوة آدم، فكلنا من ولده، أقل درجةً من وحدةِ الربوبيةِ التي يقول فيها القرآن الكريم ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. ويأمرنا القرآن الكريم بأن نجادل أهل الكتاب بأحسن طرق الجدال، وهي الحوار بالحجة البينة: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. إن وحدة الألوهية، ووحدة الربوبية، ووحدة المعبود، تفوق وحدة الأب الذي هو هذا المخلوق الذي ابتدأه ربنا من تراب ثم نفخ فيه من روحه ثم قال له كن فكان.

هذه الثقافة التي تنظر إلى الآخر نظرة احترام ونظرة اعتراف بغيريته، هو غيري وأنا غيره. ومن حقه أن يبقى إلى يوم القيامة على هذه الغيرية، ومن حقي عليه أن يحتفظ لي بغيريتي، وبكوني آخر محترمًا كما هو محترم، ومقبولاً كما هو مقبول، ومرضيًّا عني، كما أنه مرضيّ عنه، ثم يجمع الله تبارك وتعالى بيننا يوم القيامة وإليه المصير. هذه النظرية الإسلامية في التعامل مع الآخر كانت غير مسبوقة في التاريخ، ولا تزال حتى الآن، وأنا أقول هذا لا عن مغالاة ولا عن اعتزاز بديني، وإنما عن بحث وتدقيق عميقين يثبتان أن هذه النظرية لا تزال حتى الآن غير ملحوقة، لا توجد نظرية إنسانية تقول كل الناس سواسية كأسنان المشط، ولا توجد نظرية في الفكر الإسلامي العالمي المطبق الآن تقول لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، هذه نظريات الإسلام وحده، وهذه النظريات تفرق بين الناس وتعترف لهم بالغيرية ولكنها تحترمهم وتعطيهم حقوقهم.

إن القرآن هو المصدر الأول لهذه الثقافة الإسلامية، لا يسع مسلمًا أن يناهضه ولا أن يقف في وجهه، وقد نطق بما ذكرته لكم وبما سيأتي بعد قليل، والسُنة هي المصدر الثاني من مصادر هذا الدين، وكل إنسان مكلف أن ينـــزل عند ما حكم به رسول الله ﷺ أو دعا إليه أو نهى عنه، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبِينًا﴾، ويقول ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، والمقصود بأمره في هذا السياق أمر الرسول ﷺ. إذن، فنحن ننطلق عندما نتحدث عن موقف الإسلام من أي مسألة في الدنيا مما يقوله القرآن وما تقوله السُنة النبوية الشريفة، فإذا سكت القرآن وسكتت السُنة، كان لنا في التفكير والتدبير والتنظير والبحث والاختراع، بل وفي التقليد، وفي الأخذ بما وصل إليه الغير أو الآخر، سعةٌ. لأن الله لا يكلفنا إلا وسعنا، هذه هي القاعدة الإسلامية ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.

ويحدثنا القرآن الكريم عن نوعين من الآخر: النوع الأول هم الوثنيون المشركون الدهريون، وهم الذين قال لهم ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، وقال لهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ وقاعدة التعامل معهم، ومع نظرائهم إلى يوم القيامة، لأن لهم نظراء في كل عصر وفي كل جيل وفي كل بلد، هي ألا نكرههم على شيء، ولا نكرههم على الإيمان ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ* إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾، والمقصود من يكفر بعد الدعوة، بعد أن أقيمت عليه الحُجَّة، وبعد أن انقطعت منه الأدلة التي يجادل بها في بطلان رسالة محمد ﷺ، عندئذ يعذبه الله العذاب الأكبر، أما الذي في عقله شك، أو في قلبه عدم يقين، أو لا يزال مرتابًا في قوته الدينية أو صحته فهذا حكمه عند الله إن شاء عفا عنه وإن شاء حاسبه بما فعل ولا شأن لنا بذلك. ونحن معشر المسلمين منهيون عن سب آلهة الكفار ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. هل نحن منهيون عن سب آلهتهم فقط لئلا يسبوا رب العالمين عدوانًا منهم عليه وعلينا بغير علم؟ أم نحن مدعوون إلى عدم سب آلهتهم ومنهيون عن هذا السب لأمر آخر أيضًا، في الواقع إن بقية الآية تقول ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، نحن منهيون لسببين، الأول ألا نمكِّن لهم من شتم ربنا، وإدانة نبينا والاعتداء على ديننا، والثاني أن مرجع الأمر كله، في شأن الدين كله كفره وإيمانه، كتابيه وسماويه، وواضعيه ومخترعيه، مرجع ذلك كله إلى الله سبحانه وتعالى، لينبئهم الله بما كانوا يعملون: يعملون عمل القلب فيما يختص بالإيمان والعقيدة، ويعملون عمل الجوارح وهو الإساءة أو الإحسان، الإفساد أو الإصلاح.

إذا انتقلنا إلى النوع الثاني من أصحاب الأديان السماوية، فقد سبق الإسلام منهم دينان: اليهودية، والنصرانية أو المسيحية، ونحن نقول النصرانية لأن هذا هو الاسم الذي سماهم به القرآن

وهي نسبة إلى الناصرة وهي المدينة التي كان المسيح –عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام– ينتسب إليها، ولذلك يقولون حتى اليوم في أدبياتهم المسيح الناصري، وذلك لأنه من الناصرة جاء، لكن إخواننا من أقباط مصر على وجه الخصوص لا يحبون كلمة "نصراني"، ونحن مأمورون أن نخاطب الناس بأحب الأسماء إليهم، وبأحب الألقاب إلى نفوسهم، فليس من التظرف ولا من التمسك بأهداب اللغة القديمة أو الأصلية ولا حتى من التمسك بأهداب النص القرآني عندما أخاطب المسيحي الذي يكره كلمة "نصراني" أن أدعوه بالنصراني، أو أن أناديه بها، عندما نقرأ القرآن سوف نجد ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى﴾ و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾، ونحن نقرأ ذلك ونتلوه في الصلاة ويحفظه أطفالنا، لكن عندما نخاطب جارنا وشريكنا في الوطن وأخانا في الإنسانية وفي الجنسية، فنخاطبه بما يحب أن يسمع، إذا أحب أن ندعوه قبطيا قلنا إنهم أقباط، وإذا أحب المسيحية فندعوه مسيحيًّا ودعوتهم جميعًا المسيحيين، إن أحب الأرثوذكسية أو البروتستانتية أو الكاثوليكية فيجب أن نخاطبه بالاسم الذي يحبه، وقد خاطب القرآن الكريم هؤلاء بلفظين اثنين: إما أنهم يهود أو نصارى، وإما باللفظ الجامع بين الاثنين وهو "أهل الكتاب"، و لم يسوِّ القرآن بين أهل الكتاب كلهم، فلا تكاد تجد آية تُطلق الحكم عليهم جميعًا أو تسوي بينهم بلا تفرقة، لكن معظم آيات القرآن الكريم – إلا ما حُمل على حمل خاص لسبب خاص– تتكلم عن فرق بين نوعين أو طائفتين من أهل الكتاب سواء أكان الحديث عن اليهود أو عن النصارى، بل في الحديث عن اليهود والنصارى يفرق بينهم، فيقول الله تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، ويخطئ الذين يقولون إن هذه الآيات الكريمة تعني أن النصارى أسلموا، لأنهم لو كانوا قد دخلوا في دين الإسلام وآمنوا بمحمد ما سماهم الله تبارك وتعالى نصارى، ولا تحدث عن القسيسين والرهبان، فليس في الإسلام قس ولا راهب ولا نصراني، وهذه المسميات تدل على بقائهم على دينهم، فقد آمنوا بما أنزل على عيسى عليه السلام وبقوا على ذلك إلى أن جاء محمد ﷺ، وهذا هو الذي يجعل القرآن الكريم في سور البقرة والمائدة والحج يتكلم عن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا، وفي سورة المائدة تحديدًا يقول عنهم: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وفي سورة الحج يقول عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، إن الله يحكم بين الجميع يوم القيامة، بين جميع هذه الأديان بما فيها الإشراك بالله سبحانه وتعالى، وبما فيها المجوسية التي هي عبادة النار أو عبادة الأوثان مع النار على اختلاف شرح أهل الملل والنِحَل لها.

ولا يعنيني في هذا السياق الوثنيون الذين انتهوا من الدنيا الظاهرة، فالآن لا يأتي أحد بصنم ويعبده، وليس هناك من يصنع وثنًا ثم يعبده، وليس هناك من يصنع تمثالاً من العجوة ليعبده وعندما يجوع يأكله مثلما كان يُحكى عن عمر بن الخطاب قبل إسلامه، هذا الوثني لا يعنيني الآن، لكن يعنيني من أعيش معهم ويعيشون معي من المسيحيين واليهود، المسيحيون بمللهم كلها من كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت، واليهود أيضًا بطوائفهم من القرَّائين وغيرهم، ماذا نفعل بهؤلاء جميعًا؟ هؤلاء إما أن يعيشوا معنا في وطن واحد كإخواننا القبط في مصر، وعندئذٍ هم أهل الدار، لهم ما لأهل الدار من الحقوق وعليهم ما على أهل الدار من الواجبات، ولهم من الحُرمة مثلما لكل مواطن في هذا الوطن من الحُرمة، دمهم حرام ومالهم حرام وسمعتهم حرام وعرضهم حرام، ولا يجوز لأحد أن يسخر منهم ولا أن يجعلهم ملهاة أو هُزءًا على لسانه في الصغيرة أو في الكبيرة، لأن هذا كله لا يثير المودة، ولا ينشئ رابطة الأخوة، وإنما يثير البغضاء والإحن وينشئ الفتنة إذا لم تكن قد نشأت أو يؤجج نارها إذا كانت موجودة فعلاً، أرأيتم في هذه الفتن الكثيرة التي تمر بنا، لو خرج أتباع كل طائفة وتشاتموا وتقاتلوا فإن الفتنة تزداد، أما إذا جاء أهل العقل والحكمة وردوا هؤلاء إلى صواب دينهم وردوا أولئك إلى صواب دينهم، بحيث يقول المسلمون للمسلمين: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"، وبحيث يقول المسيحيون للمسيحيين: "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، اعفُ وسامح فإن الرب يحب العفو والسماح"، لو قال هؤلاء لهؤلاء ذاك وهذا، لانطفأت نار الفتنة ولخمد أوارها ولذهب لهيبها أدراج الرياح.

هؤلاء قد يعيشون أيضًا خارج بلاد المسلمين، في بلاد المسلمين نحن نؤصل لفكرة العيش الواحد، نحن شعب واحد في وطن واحد لنا هذه الحقوق والواجبات الواحدة، بموجب الوثائق الدستورية التي صنعتها الدول الحديثة، وقبل عام ١٨٨١ لم تكن في مصر وثيقة دستورية، وبدأت الوثائق الدستورية تتوالى بدءًا من هذه الفترة إلى العصر الحالي الذي شهد دستور ١٩٧١ الذي تم تعديله ثلاث مرات، ومن المفارقات أنه عند صدوره سُمي بالدستور الدائم، وبعد ذلك تم تعديله في الأعوام ١٩٨٠، ٢٠٠٥، ٢٠٠٧، وطبقًا لهذه الوثائق الدستورية نحن نعيش على وجه المساواة معًا وعلى وجه التكافل معًا، ونعيش على وجه التكافؤ معًا، لا فضل لمصري قبطي على مصري مسلم إلا بما يؤديه لهذا الوطن من حق، وما يدفعه في سبيل حمايته من ضريبة، وبما يقدمه فداءً له إذا احتاج إلى فداء من النفس والمال والولد. المقصر يقف عند حد تقصيره، والمؤدي يرتفع بمقدار ما أدى، لا فضل لأحد على أحد إلا بهذه المعايير، نقائص الوطن نقائص لنا جميعًا. ولا يتصور أحد أنه، بفضل دعم أجنبي أو داخلي، أمكنه أن يعلم أولاده تعليمًا أحسن من جاره أنه سيتفوق على جاره، المسألة كالأواني المستطرقة، فإذا وُجد خلل في أحدها فسيستمر الخلل في جميع الأجزاء الموجودة في الوطن،

وإذا كان هناك تفوق سينتقل التفوق من ناحية إلى ناحية حتى يصبح الوطن كله من المتفوقين وأشباه المتفوقين، وتتوالى في الوطن أجيال مختلفة، أذكر في جيلي أنه كان هناك من قمم الثقافة والفكر طه حسين وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وتوفيق الحكيم وزكي نجيب محمود وعشرات غيرهم، وفيمن قبلنا من الشعراء شوقي وحافظ والجارم وغيرهم. كان بعض نقاد حافظ يقولون عنه إن وزارة المعارف هي التي جعلت منه شاعرًا، لأنها قامت بطباعة ديوانه؛ وحافظ إبراهيم لا يوجد في العالم العربي اليوم من يجاريه في شعره وبيانه وبلاغته. وكان في هذا الجيل من تُروى الطرائف والنكات عن سلوكه وعلاقاته بإخوانه، من يسمونه شاعر الصعاليك، عبد الحميد الديب، وقد كان عبد الحميد الديب، بالنسبة لأخلاق من نراهم اليوم من أصحاب الأردية الرسمية والأزياء القومية، قمةً من قمم الخُلُق الراقي إذا قسناه بأخلاق من يرتدون اليوم هذه الأزياء فاقهم جميعًا أو فاق أكثرهم. هذه هي الأواني المستطرقة، كان كل الناس على هذا المستوى من الفخامة إن شئنا أن نقول، ثم حدث الهبوط تدريجيا حتى كاد كل الناس أن يصبحوا في القاع، ومَن فوق القاع فهو فوقه بقليل جدًّا، لكن استوى الناس في هذه المحنة التي تمر بنا جميعًا، فلا يظن أحد من أهل الدار من المسلمين والأقباط أنه يستطيع أن يتميز على سواه أو يتفوق عليه أو يعلو، إن كان سيعلو فإنه سيعلو فردًا ضمن مجموعة أفراد ضعاف وفقراء ومنقوصين، فنقائص الوطن نقائص فينا كلنا ومزايا الوطن مزايا لنا كلنا، وعلى المسلمين والأقباط أن يعملوا معًا ليعظِّموا من مزايا الوطن ويقللوا من نقائصه وعيوبه، فإن الوطن القوي الكامل شرف لنا جميعًا، والوطن الضعيف الناقص خيبة لنا جميعًا، ولا أستعمل مقابل كلمة شرف كلمة خزي ولا عار، لأن هذا ليس خزيًا ولا عارًا ولكن خيبة حيث سينظر لنا العالم على أننا جميعًا لم نستطع إقامة وطن يستحق أن يوصف بهذا الاسم العظيم.

إذا عاش غير المسلم من المسيحي أو اليهودي خارج ديار المسلمين، أو التي أغلبية أهلها مسلمون أو خارج البلاد التي نعيش فيها معًا، هنا تأتي قضية العيش المشترك، وهذه القضية أصَّلها القرآن الكريم وعلمها الناس ومن أسف أنهم لم يتعلموها، يقول الله تبارك وتعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لقد خلق الله لنا كل ما في الأرض، لنا جميعًا، فنحن نعيش عيشًا مشتركًا على هذه الأرض، ونتناول من طيباتها وخيراتها التي خلقها الله معًا، وكل ينال بقدر حظه من المعرفة ومن الثقافة ومن التقدم العلمي والتقني ومن قوته العسكرية، ولا يستهين أحد بالقوة العسكرية لأن من يملكها بقدر كافٍ يستطيع أن ينال ما يشاء، والذي لا يملكها بقدر كافٍ يبقى كسير الرأس مطأطئ الوجه، غير قادر على أن يطالب بحقه فضلاً عن أن يناله، ولذلك قال القرآن الكريم ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، ولْنُلاحظ أن الله تعالى لم يقل "تحاربون به عدو الله" ولا "تقاتلون به" ولا "تقتلون به"، لكنه استعمل كلمة راقية رقيقة هي

"ترهبون"، والآية بأكملها تقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾، وكلمة "ترهبون" في هذا السياق تعني منع وقوع القتال والحيلولة بين المسلمين وبين سفك الدماء، وهي تعني أن يتوافر ما نسميه اليوم عامل الردع عند المسلمين بحيث لا يفكر أحد في الاعتداء عليهم، وهل في بلاد العرب والمسلمين اليوم والبالغ عددها ٢٢ دولة قدرة على ردع عدوها؟

هناك دائرتان وأمتان، الدائرة الإسلامية شديدة الاتساع وتقع في داخلها الدائرة العربية، والسؤال هو هل الدائرتان العربية والإسلامية معًا تملكان ردع عدوهما وإيقافه عند حده، ألا ترون ما يجري مع إيران الدولة المسلمة التي تحاول أن تحصل على ما يسمى التقنية النووية، وما يجري معها في كل مجال وفي كل محفل، ومن الدول العربية والإسلامية، لمنعها من الحصول على هذه التقنية؛ في مقابل إسرائيل جارتنا غير العزيزة التي تمتلك ٢٥٠ رأسًا نوويًّا ! ألا ترون الذي يجري بحيث لا يستطيع أحد أن يرفع رأسه في وجه إسرائيل أصلاً؟ وقد استمعت بالأمس إلى الرئيس بوش وهو يقول إن إيران لا يمكن أن يُسمح لها بتملك التقنية النووية لأنها تريد إذا تملكتها أن تعتدي على إسرائيل والسلام العالمي يختل إذا اعتدى معتدٍ على إسرائيل.

وقد عشنا جميعًا الحروب التي مرت بها مصر، وكلنا لنا شهداء في عائلاتنا من ضحاياها، وكلنا نعرف الذلة والهوان الذي يصيبنا عندما يأتي من لا يستحق ليدعي أن أجداده هم من بنوا الهرم أو أن أعمامهم هم من فتحوا مجرى النيل أو علم المصريين الزراعة، أو يأتون الآن ليدعوا أنه لولا شركاتهم لما زرعنا الصحراء، وهم كاذبون، لأن الصحراء يزرعها الفلاحون من البحيرة ومن المحمودية ومن طنطا ومن الوجه القبلي، والذل الذي نشعر به لا يرجع إلى كونهم يعرفون في الزارعة أفضل منا، ولا لأنهم يعرفون تكنولوجيا أفضل منا، ولا لأنهم يتحدثون لغات أجنبية أفضل منا، ولكن لأننا لا نملك القوة الرادعة التي تجعل الرجل أو المرأة منهم يفكر مرتين أو ثلاثة قبل أن ينال منا بالقول فضلاً عن غيره مما ينالون به منا.

في العيش المشترك، نحن أهل هذه الأرض، ينبغي أن نتساوى في إمكانية استثمارها وإمكانية استخراج ما أودعه الله فيها من الخيرات، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وقوله تعالى ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ و"ينظر" لا تعني الفرجة –تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا– إنها تعني أن ينظر في أعمالنا ليحاسبنا عما فعلنا في الدنيا. فمن أتى بخير فله الخير ومن أتى بغير ذلك فنسأل الله العافية له ولنا.

قبول كل طرف للآخر والشعور باتساع الدنيا بأطرافها لهم كلهم، مؤمنهم وكافرهم، هذا القبول ضرورة لاستمرار الحياة على الأرض وإلا لأفنى بعض الناس بعضًا، ولاستمرت الحروب وانطلقت الأسلحة وأدوات التدمير وهلك الخلق. وحتى لا يهلك الخلق، فإنه يجب أن يكون عند كل الناس إيمان بحق الجميع المشترك في أن يحيوا في هذه الأرض التي جعلها الله لهم جميعًا. ويقع هذا بين أهل الأديان، وبين أهل المذهب أو الملة أو الطائفة داخل الدين الواحد، فلو أن المسلم السُني اعتقد أن المسلم الشيعي لا يستحق الحياة وقرر أن يغتال كل مسلم شيعي يقابله أو أن المسلم الشيعي قرر أن المسلم السُني لا يستحق الحياة وقرر أن يفجر مساجد المسلمين وقبورهم، ولو أن القبطي فعل مثل ذلك في المسلم، ولو أن الأرثوذكسي فعل مثل ذلك في البروتستانتي والبروتستانتي فعل ذلك في الكاثوليكي، تنتهي الدنيا، إن الأساس الصحيح للعيش المشترك هو أن الدنيا تتسع لنا جميعًا، والله تبارك وتعالى يتقبل العبادة ممن أخلص له بها وتوجه إليه وحده بحقائقها ودقائقها، ثم يحاسب الناس يوم القيامة على ما كانوا يعملون في الدنيا من عقيدة ومن أعمال جوارح.

وعندما نقول مؤمنهم وكافرهم، نحن لا نعني المؤمن من الناس بالإسلام والكافر به، نحن نعني مؤمنهم بالله الواحد الخالق، أيا ما كان الدين الذي يتعبد إلى الله به، هذا أمره إلى الله ليس إلينا، ومرده إلى يوم القيامة ليس إلى أيامنا هذه، نعني المؤمن بالله الذي يدين لله بالعبودية، الذي يعلم أن هناك خالقًا رازقًا يحيي ويميت ثم سيبعث الناس يوم القيامة، من آمن بهذه الصفات الخمس: الخالق، الرازق، المحيي، المميت، الذي يبعث الناس بعد موتهم ليحاسبهم بما عملوا؛ فهو مؤمن أيا ما كان الدين الذي يختاره، لكن اسمه مؤمن، أما الكافر فهو الذي ينكر واحدة من هؤلاء، كأن يقول أحدهم إنه لا أحد خلقنا وإننا أولاد الطبيعة أو إنه لا أحد يرزقنا بل إن كدَّنا وتعبنا هو الذي يرزقنا، أو كما قال قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾، فكان الجزاء السريع الذي قرنه الله تعالى بحرف الفاء التي تشير إلى السرعة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

هذا الشعور بإيمان المؤمن بالله بهذه الصفات، وبأن من لا يؤمن بواحدة منها خارج دائرة الإيمان، هو الذي يجعل الخلق جميعًا يعيشون معًا، وحتى من يعلنون إلحادهم بإعلانهم أن الله غير موجود في أثناء حياتهم، عند موتهم، تُقام لهم مراسم دفن في الكنائس والجوامع، وقد حكى لي أحد إخواني الفلسطينيين الذي كان مسيحيًا وشيوعيًّا أنه حدث أن قتل أحد إخوانه المسلمين الشيوعيين في مواجهة مع إسرائيل، فذهبوا إلى قريته في جنوب لبنان يعزون أهل هذا الشهيد كما كانوا يسمونه؛ قال لي هذا الأخ الفلسطيني: إن أول ما لفت نظره وهو يدخل قرية المتوفى أن الناس تتحدث

عنه قائلة "الشهيد"، فاستعجب وقال بلهجته الفلسطينية "شو هذا يقولوا شهيد، شهيد هذه تعني دين، ونحنا شيوعيين!"، وعندما دخل إلى بيت المتوفى وجد جميع المعزين يرددون: "إن شاء الله في الجنة، إن شاء الله مع النبي، إن شاء الله مع علي والحسين" وقد كان المتوفى مسلمًا شيعيًّا، فاندهش صديقي، و لم تبرح هذه الحادثة ذهنه أبدًا، وقرر على أثرها أن يقرأ في الأديان جميعا ليقرر أي دين يختاره ليعتنقه، وقد اختار بالفعل دينًا لا يزال يعتنقه حتى يومنا هذا، ونحسبه عند الله من السعداء إن شاء الله. وتدلنا هذه الحادثة على أنه حتى إنكار الإيمان يكون في أغلب الأحيان غير حقيقي وكاذب، وذلك لأن الإيمان خُلق مع الإنسان عندما خلقه رب العالمين.

والسياسيون هم الذين يحكمون العالم كله دون استثناء وهم الذين يستغلون الشعارات الدينية لتحقيق المآرب السياسية والدنيوية، وأسوِّي في كلمة "السياسيين" بين السياسيين المسلمين وغير المسلمين، في بلادنا وفي غير بلادنا، أعني كل السياسيين في العالم يستغلون الشعار الديني لتحقيق المآرب السياسية، إذا ضاقت بهم الأرض بما رحبت قرأوا آيات من القرآن أو أشاروا إلى كلمات من الإنجيل أو أتوا بالقساوسة عن يمينهم وعن يسارهم أو أتوا بالمشايخ عن يمينهم وعن يسارهم، أما إذا اتسع عليهم الحال، نسوا أن لهم ربًّا وأن هناك إلهًا وأن هناك أزهرًا أو كنيسةً أو مسجدًا ولا تراهم يذكرون ذلك إلا إذا عادت أحوال الضيق مرة أخرى. لذلك، طالما رددت أن الدور الحقيقي لأهل الإيمان بالأديان كافة هو أن يؤكدوا البُعد بين الدين الحق الذي نعبد الله عليه والذي نرجو أن نُبعث يوم القيامة ونحن من معتنقيه، وبين هذه المآرب الدنيوية التي تتغير كل يوم وكل لحظة وكل ساعة. ينبغي أن يظل الدين الحقُّ محفوظًا بحفظ العلماء والمؤمنين وجماهير الناس الذين يؤمنون بهذا الدين، سواء أن كان هذا الدين إسلامًا أم مسيحية أم يهودية أم بوذية أم غير ذلك، أما الدين الباطل فهو الذي يُستخدم لكسب الجاه في الدنيا، وللسياسة وللاستغناء بالمال، هذا ليس دينًا، ولكنه بضاعة يُحسن عرضها بعض الناس ويسيء عرضها بعض الناس، والذين يحسنون عرضها يأكلون منها عرضًا قريبًا من الدنيا ثم يحاسبون به يوم القيامة، وهؤلاء لا شأن لهم بالتدين الحقيقي؛ شأنهم في الشعار، يرفعونه بقدر ما يكسبون به من أصوات الناخبين وأموال المتبرعين والمتصدقين، ثم تذهب هذه الأموال وتلك الأصوات إلى حيث شاؤوا.

المؤسسة الدينية الرسمية مسيحية كانت أو مسلمة أو يهودية لها قدر كبير من السلطان، الذي لا يضاهيه سلطان آخر، على أتباعها. ورؤساء هذه المؤسسات وأعضاؤها مقصرون أعظم التقصير في أداء حق الأديان عليهم، حتى إن كثيرين من قادة المؤسسات الدينية الرسمية يستعملون ألقابهم وأسماءهم ومناصبهم لا ليقربوا الناس إلى دين الله، وإنما ليصدوا الناس عن سبيل الله، وأقول هذا وأنا مسؤول عنه. وقد صدرت منذ أيام فتوى من مفتٍ كبير في بلد عربي إسلامي ضخم جدًّا يذهب

الناس إليهم جموعًا كل يوم، تقول الفتوى إن الجهاد لا يجوز خارج البلاد، وإن هذا الجهاد لا يجوز ويعتبر نوعًا من الإفساد في الأرض الذي نهى الله تبارك وتعالى عنه وحرَّمه في سورة المائدة بقوله ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، هذا الرجل الذي يحتل منصبًا رسميًّا ضخمًا في بلد إسلامي عظيم القدر عند المسلمين، واتته الجرأة ليقول ذلك لأنه لا يوجد من يأمره بالمعروف ومن ينهاه عن المنكر، لأنه لا يوجد من الأمة من يقف في وجهه ويقول له لا، الجهاد ذِروةُ سَنَام الإسلام، وإذا ديست أرض المسلمين أو التي أغلب أهلها من المسلمين أو التي يحكمها المسلمون، وجب الجهاد حتى على المرأة من غير إذن وليها وعلى الطفل بغير إذن أبويه، وعلى العبد –وقتما كان هناك رق– بغير إذن سيده، لأن إنقاذ دار الإسلام أو أرض الأديان، أو الأرض التي يُعبد الله فيها عبادة صحيحة، أهم من المحافظة على الولايات الخاصة بالزوج على زوجته وبالأب على ابنته أو الأب على ابنه ... إلى آخره. ونحن نعيش فوضى الفتوى من قبل رمضان وأثناءَه وبعده، وحتى فتوى الشائعات الأخيرة التي وضعت القرآن الكريم في غير موضعه إن كانت عن علم فبئس ما حدث وإن كان عن جهل فهو أبأس وأضل سبيلاً لأن هذا القرآن لا ينبغي أن يُعبث به، لأنه إذا دخل به العبث دخل الناس شر كبير وفساد مستطير لا نعرف كيف يخرجون منه إلى يوم القيامة.

ويقيم القرآن الكريم ما قدمت من علاقات الأخوة الإنسانية على أصل هائل، هو قوله سبحانه وتعالى في أول سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءَ وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، أمرنا الله أن نسأل بعضنا بعضًا باسمه تعالى، وتأكيدًا على صلة الأرحام، وهذا التساؤل وهذا الطلب، وهذا الرجاء، الذي يُبنى على الإيمان ثم يُبنى على الأرحام، يرجع إلى أننا جميعًا موصولون إلى رحم واحدةٍ، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، وكثير من الناس يتعارفون بأسمائهم ويظنون أنهم بهذه الطريقة قد حققوا مطلب التعارف القرآني، وليس هذا هو المقصود، إن التعارف في اللغة العربية على وزن تفاعل والتفاعل يحتاج إلى فاعِلَيْنِ للقيام به، والفاعلان هما أنا والآخر، حيث يتقرب إليّ خطوة أتقرب إليه خطوتين، ويتقرب إليّ ذراعًا آتيه باعًا، يأتيني مشيًا آتي إليه هرولة، هذا هو التعارف، والتعارف يكون بين الأفراد والأمم والشعوب لكنه لا يكون عن طريق السياسيين. السياسيون يريدون الخلاف والحروب والسيطرة والهيمنة والعلو في الأرض بغير الحق، و لم يأمر الله سبحانه وتعالى الحكام بأن يتعارفوا لكن أمر الناس وجعل الخطاب إليهم عامًّا.

والغريب، أن الكثير من الناس، من الشعوب المختلفة، تضفي على بعضها البعض صيغ التعامل بناء على تصرفات الحكام أو غيرهم، وقد نجد خلافًا حدث في مباراة لكرة القدم مثلاً بين مصر والجزائر، فنجد بعده المصريين يتعاملون بسوء مع الجزائريين، على الرغم من أن الخلاف الذي حدث بين الفريقين حدث في الملعب المغلق، وحسابه على الحَكَم أو غيره ويجب ألا يمتد خارج هذا المكان. والأمر نفسه ينطبق على جميع الشعوب وفي جميع المناسبات.

يجب أن نحب خلق الله جميعًا لأن نبينا ﷺ كان يقول دُبر كل صلاة: "أشهد أن العباد كلهم إخوة". بهذا التعارف المتبادل يحدث العمران الذي أمر به الله تعالى في القرآن الكريم في قوله ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، هذا العمران الذي اخترع له ابن خلدون علم الاجتماع وأطلق عليه "علم العمران"، لا يحدث إلا بالتعارف والتنافس في الخيرات وفي البر والتقوى، أما الحساب على الإيمان فهو مؤجل إلى يوم القيامة، بين مختلف الأديان، لا توجد سلطة دينية ولا مدنية ولا محكمة قانونية ولا عسكرية ولا كائن، ولا حتى الجن، يملك أن يحاسبنا على عقائدنا وإيماننا، وقد ذكرت لكم قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقوله أيضًا في سورة الحج ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، هذا الفصل يعني إنهاء القضية لأن الفصل هو الحكم الذي لا يُنقض.

وسيبقى الاختلاف إلى يوم القيامة. ويحدثنا القرآن الكريم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، والكتاب الذي تتحدث عنه الآية الكريمة هو التوراة، فقد آمن اليهود بالتوراة التي نزلت على موسى وكذلك المسيحيون أتباع عيسى يؤمنون بها؛ وقد قال عنها المسيح عليه السلام: "ما جئت لأنقض الناموس، وإنما جئت لأتمم". وهذا الناموس أو القانون هو التوراة، وعلى الرغم من أنهم جميعًا يتلون نفس الكتاب، فإن فريقًا منهم يقول هؤلاء ليسوا على شيء وفريقًا آخر يقول إن الآخرين ليسوا على شيء، وعلى الرغم من اختلافهم هذا فقد ذكر الله تعالى أنه هو الذي سيحكم بينهم يوم القيامة، وهذا ينطبق على الجميع، سواء المختلفين من أهل الدين الواحد أو الأديان المختلفة بعضها عن بعض، وليس الحكم إطلاقًا لأي منا في الدنيا. وقد اعترض بعض إخواني حينما قلت هذا الكلام قبل ذلك وقالوا لي كيف تقول ذلك وقد قال الله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، والآية واضحة، فالحديث فيها عن أن الحساب على العقيدة في الآخرة وليس في الدنيا، فلم يقل القرآن الكريم سنخسف به الأرض في الدنيا، ولم يقل إن دمه حلال، ولم يقل نمنعه من التجارة والصناعة، ولا من ارتقاء الوظائف بتفضيل المسلمين عليه في شغل بعض المناصب. ويقول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ

الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، أي إن الله هو الذي يحاسب على الإيمان، ولا يعتقد أحد أن يوم القيامة بعيد، فقد قال الرسول ﷺ "بُعثت أنا والساعة كهاتين" وأشار إلى إصبعيه السبابة والوسطى. إن الأيام والسنين ومئات القرون التي نقوم بإحصائها لا تتعدى كلها في علم الله سبحانه وتعالى الفرق بين هذين الإصبعين، وفي الآية التالية يقول الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، فليس على الرسول إلا البلاغ أما الحساب فمرده إلى الله عز وجل.

بيننا وبين غير المسلمين دستور، فرضه علينا الإيمان الإسلامي والقرآن الكريم، يقول الله تبارك وتعالى ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وكما نرى، فإن من يوالي الأعداء لم يكفره الله ولا حكم بإخراجه من الملة ولكنه وصفه بأنه ظالم والظلم ذنب عظيم وظلمات يوم القيامة، لكنه في النهاية ذنب، ليس أكثر ولا أقل من ذلك. لكن السؤال هو: ماذا نفعل مع الذين يقاتلوننا؟ هل نتركهم ونسكت؟ هل نتركهم يفعلون ما يشاءون مثلما تفعل الصهيونية الآن في فلسطين أو كما يفعل المحتلون في العراق أو في أفغانستان؟ لا يجوز لنا أبدًا السكوت على هذا، لكن يجب على كل قادر أن يقاومهم بكل ما يستطيع، والقادر الساكت مقصِّر والقادر القاعد آثم، والدولة التي تمنع أبناءها أن يؤدوا هذا الواجب تتحمل وزرهم يوم القيامة، دون أن يكون عليهم هم وزر لأنهم أدَّوا ما عليهم، ويكفي في هذا أن يستصحب المرء النية، بحيث يقول بقلبه نويت أن أقاتل المحتلين، إذا استحضر هذه النية في قلبه وكان صادقًا مخلصًا فيها ثم حيل بينه وبين أداء هذا الواجب فلا إثم عليه، لكن إذا كان قادرًا وقعد، مثل هؤلاء الذين هربوا من بلادهم حتى لا يواجهون المحتل، أو الذين يتعاونون مع المحتل في فلسطين ويبيعون إخوانهم ويَشُونَ بهم ويجعلونهم عُرضةً للقتل والأسر كل يوم، هؤلاء حسابهم عند الله سبحانه وتعالى عسير.

والنهي عن موالاة محاربي المسلمين مربوط بالمُحادةِ لله ورسوله كما في قوله تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وقوله: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ لفظة "دون المؤمنين" في هذه الآية وغيرها تعني في مواجهة المؤمنين. كذلك يقول الله تعالى في سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وفي سورة الأنعام ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، بمعنى أن

المقاطعة مبنية على إبدائهم معادَاتِنا وحربهم إيانا. وقد فرق القرآن دائمًا بين الصالحين والطالحين وأنهم ليسوا سواء، حتى في حديثه عن أهل الكتاب، إذ يقول تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، والسبب في ذلك أن هؤلاء الذي يستحلون أموالنا وأعراضنا وديارنا يرون أنه يجوز لهم أكل أموال الأمم الأخرى غير اليهودية بالباطل، تكثُرُ في القرآن الكريم تعبيرات مثل "فريقًا من الذين أوتوا الكتاب" و"طائفة من أهل الكتاب" و"إن من أهل الكتاب" ... إلى آخره، هذا كله لأن الله تبارك وتعالى لا يسوي بينهم ولا يجعلهم أمة واحدة في معاداتنا، ولكن من يعادينا يدخل في أمة المعاداة ومن لا يعادينا يبقى في زمرة من يقول الله عنهم ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

أختم هذا الحديث بمجموعة من القواعد التي اتفق عليها اتفاقًا مبدئيًّا الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، وهو مجموعة من المسلمين وغير المسلمين العرب، من مصر والسودان ولبنان وسوريا والأردن والإمارات والكويت، مجموعة من العرب من مختلف الأماكن، يجمعهم أنهم مؤمنون بدينهم إسلامًا كان أم مسيحية، ويجمعهم أن أحدًا منهم لا يحضر هذا الفريق ولا يشارك في أعماله بصفته منتميا إلى حزب أو جماعة أو فئة سياسية أو طائفة دينية، وإنما بصفته مؤمنًا بالإسلام أو بالمسيحية، لا جامع بينهم إلا هذا. وهم يتركون على باب اللقاء كل ولاءاتهم الأخرى إلا ولاءهم للدين والوطن. هؤلاء يعملون منذ عام ١٩٩٥ في تقريب الشُقَّة بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي، وانتهوا مؤخرًا إلى وثيقة أقروها بصفة مبدئية أذكر عناوين رئيسية من عناوينها:

- نتيجة ضرورية من نتائج الاعتراف بالاختلاف والغيرية بين الناس أن يكون هناك **احترام متبادل، فلكل أهل دين خصوصياتهم الدينية ولكل فرقة أو مذهب داخل الدين الواحد خصوصياتهم الدينية** (والتي تأتي من التأويل والتفسير وقبول الأثر أو رده، من هذا الاختلاف نختلف ونبقى داخل الإسلام، أو يختلف المسيحيون ويبقون داخل المسيحية).
- الأديان والعقائد في نظر أصحابها طرق لطاعة الله وعبادته، **والفصل بين أصحابها مرجعه إلى الله رب العالمين وحده يوم القيامة.** (كما يقول الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فلم يقل الله يوم يقوم المسلمون ولا يوم يقوم اليهود ولا يوم يقوم أهل الكتاب، ولكن الناس جميعًا حتى يفصل بيننا).

- **اعتقاد الصحة المطلقة في كل دين خصيصة لازمة.** (فلو اعتقدنا أن في اليهودية مثلاً ميلليمترًا من الصحة أكثر مما هو موجود في الإسلام لتركنا الإسلام إلى اليهودية بحثًا عن هذا المليمتر، ولو اعتقد اليهودي أن في الإسلام ميلليمترًا من الحق الذي ليس في اليهودية لترك اليهودية واعتنق الإسلام، وكذلك قل في المسيحي وفي البوذي وفي كل ذي دين يتدين به متقربًا بتدينه إلى الله. وكل دين، بل كل مذهب في كل دين يرى في نفسه الصحة المطلقة، ويترتب على هذا إحدى نتيجتين: إما أن نتعادى ونتقاتل، وإما أن نتغاضى ونتعاون ونعيش، وأقول إنه يجب أن نتغاضى عن هذه الفروق لأنها لا تهمنا، إنما يهم كلاً منا أن يكون في نظر نفسه على صواب ولا شأن لكل منا بالآخر حتى يفصل الله بين الجميع يوم القيامة.
- ومن المشكلات الكبرى أن يخوض أهل دين في خصوصيات أهل دين آخر، كأن يحدث أن يخوض قبطي في مسألة أن في شريعة الإسلام طلاق وتعدد زوجات أو أن يخوض مسلم في مسألة أن المسيحية ليس فيها لا طلاق ولا تعدد زوجات، أو أن ينتقد مسلم وجود مؤسسة كهنوتية ضابطة في المسيحية تسمى الكنيسة الأرثوذوكسية أو أن ينتقد قبطي عدم وجود هذه المؤسسة الكهنوتية في الإسلام لأن باب الاجتهاد في الإسلام مفتوح لمن يقدر عليه وله على ذلك أجر، من المفروض أنه **لا شأن لكل طرف بخصوصيات دين الطرف الآخر، لا يجوز لأهل دين أن يجعلوا من أنفسهم حكامًا أو نقادًا لخصوصيات أهل دين آخر،** لأننا إن فعلنا ذلك ورثنا بعضنا الضغينة والبغضاء والشحناء وتقاتلنا وأريقت الدماء بغير سبب ولا علة، **كل أهل دين يتحدثون عن دينهم فقط** ولا يخصهم من خصوصيات دين الآخرين شيء).
- **حفظ حرية وحُرمة كل دين واجب، وحُسن الصحبة بين الناس سياج يحمي الوحدة داخل الوطن والأخوة الإنسانية في الناس كافة.**
- **حرية اختيار الدين فردية وآثار هذا الاختيار يقررها أصحاب كل دين لأهله.** (فلو أقرت المسيحية بأن ارتداد فرد عنها يؤدي إلى عقوبة الحرمان من الكنيسة فهذا شأنها ولا شأن لغير المسيحيين به، وإذا أقر الإسلام بأن المرتد يُعاقَب أو يُحرم من الولاية على أولاده الذين يردون إلى الحاضنة المسلمة، وما إلى ذلك، فإن ذلك من شأن الإسلام وليس لغير معتنقيه شأن به. ولا يمكن أن نتحجج بالعلمانية —وهي بالمناسبة ليست كلمة سيئة ولكن تطبيقها هو السيئ– ونقول إننا سنلغي قوانين الأديان جميعًا لأننا بهذه الطريقة نخسر الناس جميعًا، ونجعلهم يتحولون من قاضي المحكمة إلى مجموعة من القضاة سواء في المسجد أو في الكنيسة أو في الصحراء).

- **الأغلبية والأقلية مفهومان سياسيان،** لكنهما مع الأسف أصبحا بلغتنا المعاصرة مفهومين دينيَّين، وأصبحنا نتحدث عن الأقلية الدينية والأغلبية الدينية، وهذا خطأ وباطل لأن الأكثرية أو الأقلية الدينية لا يرتب حقًا للأغلبية فوق حق الأقلية، ولا يحرمها حقًا هو لها بمقتضى المواطنة، ومع ذلك، **ينبغي أن يكون للأقلية الدينية –إذا صح التعبير وهو تعبير خاطئ– نفس الحق في الحماية وفي التعبير وفي التدين،** وإلا كسرنا فكرة المواطنة التي تم تعديلها مؤخرًا في الدستور، على غير حاجة إلى ذلك التعديل، فقد كان الدستور قبل ذلك كافيًا للإشارة إليها، فلا يجوز حرمان الأقلية الدينية من حق مساوٍ في التعبير عن هويتها لحق الأغلبية. وفي الدستور المصري، كانت المادة الثانية التي تذكر أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، في حاجة إلى بضعة كلمات أخرى بعد هذه الكلمات تقول "وتكفل الدولة حماية أهل الأديان الأخرى في شعائرهم وعبادتهم"، وقد فعل الإيرانيون ذلك حينما كتبوا في دستورهم إن الدين الرسمي هو الإسلام والمذهب الرسمي هو المذهب الجعفري وأضافوا "ولأصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى في أماكن تجمعهم أن يحكموا ويقيموا الشعائر ويتزوجوا ويطلقوا وفق مذاهبهم" وذكر الدستور المذاهب السنية الأربعة والمذاهب الإسلامية الأخرى مثل الإباضية والزيدية على الرغم من أن هذين المذهبين ليسا لهما وجود في إيران التي لا يوجد بها إلا السنة والشيعة الإمامية (الجعفرية) فقط.

هذا التطواف السريع الذي أعترف أنه سطحي جدًّا في مسألة علاقة الإسلام بالآخر، يوقفنا على حقيقة واحدة هي التي أتمنى أن نتفق عليها قبل أن نخرج من هنا، أن كوني مختلفًا عن الناس أو كوني شيئًا آخر لا يعني أنني شيء أسوأ، وأن كونه شيئًا آخر لا يعني أنه شيء أحسن، الغيرية أو الآخرية والاختلاف فطرة فطر الله تبارك وتعالى الخلق عليها ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، وقد قال العلماء خلقهم للاختلاف. فلنَعِشْ معًا مختلفين متحابين متعاونين نُعَمِّرَ هذه الأرض حتى نُوفَّى ثواب هذا التعمير في الآخرة، ثم يغفر الله لنا ما كان ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فتحي أبو عيانة:

أود أن أحيي المفكر الكبير الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، وطوال حديثه، أريد أن أختصر هذا الحديث تحت عنوان واحد يتماشى مع مفهوم المحاضرة، فوجدت أن هذا الحديث حديث العقل وليس حديث النقل في الفكر الإسلامي، وهذا ما نحتاجه في هذه الأيام لكي يعرف القاصي والداني الوسطية والاعتدال في ديننا الإسلامي الحنيف. وفي الحديث المتميز الذي يفيض في حلقات

من سلسلة ذهبية متعاقبة ومتتالية يتحدث عن أمور عديدة ستكون وثيقة هامة ودستورًا مهمًّا يخرج من مكتبة الإسكندرية ويحمل اسم المسلم والآخر، وكما استمعتم، تحدث الدكتور محمد سليم العوا بإيجاز شديد وذكر أن الآخر هو ما سوى الذات وأن ديننا الحنيف يحوي الكثير في القرآن الكريم وفي السنة المشرفة ما يؤكد هذه المعاني ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، "كلكم لآدم وآدم من تراب" "الناس سواسية كأسنان المشط"، "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"، ويحدثنا القرآن الكريم عن الآخر، وتقوم القاعدة الثابتة على عدم إكراه الآخر على الإيمان، ونحن منهيون عن سب الآخر، وبذكاء شديد وبشفافية عالية كمصري في هذا الوطن، تحدث الدكتور محمد سليم العوا عن وشائج القربى بين المسلمين والمسيحيين، ووضع قواعد مهمة، هذه القواعد ينبغي أن نكون جميعًا على علم بها، وهي أننا منهيون عن سب الآخر ومطالبون بأن نخاطب أبناء مصر من أقباطها بما يحبون، وليست كلمة نصراني كما يحاول البعض أن يرددها لأسباب خاصة، وذكر أن أقباط مصر هم أهل الدار، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ونحن نؤكد في بلاد المسلمين مفهوم العيش المشترك والمساواة والتكافل، وذكر حقائق مهمة أعتقد أنها قواعد أساسية في البناء البشري والديمقراطي في الدول، إن نقائص الوطن هي نقائص لنا جميعًا، ولا يدعي أحد تميزه في شيء لأننا جميعًا في النهاية ركاب سفينة واحدة. أيضًا، إذا حدث خلل في جزء فإنه سيسري إلى باقي أجزاء الوطن وفقًا لنظرية الأواني المستطرقة، وهذا أمر مهم، وإن كان قد ذكر أنه قد حدث هبوط تدريجي حتى أصبح الكل في القاع فلا يظن أحد أنه يعلو على الآخر، وألقى مجموعة من الأسئلة لعل من أبرزها ما يختص بالدائرة العربية والدائرة الإسلامية وما إذا كان باستطاعتنا أن تكون لدينا قوة نرهب بها أعداءنا الذين يعتدون علينا، وأيضًا بذكاء وشفافية وعمق ذكر أن المؤسسات الدينية مقصِّرة في أداء حق الأديان بصفة عامة، وضرب مثالا بما يقوله أحد المفتين في إحدى الدول، و لم يشأ أن يحدثنا عن تلك الدولة ولا عن هذا المفتي لأن هذا لا يهمنا، لكن يهمنا أن نعرف أنه قال الجهاد خارج البلاد حرام، وهذه الفتوى دالة على فوضى الإفتاء ليس في مصر فقط ولكن في عالمنا العربي كله. أيضًا، ذكر أمرًا مهمًّا يرتبط بنظرية ابن خلدون في جغرافية العمران وعلم الاجتماع تتعلق بأن العمران لا يحدث إلا بالتعارف بين مختلف الأديان، وأن بيننا وبين غير المسلمين دستور واضح والاحترام المتبادل وخصوصية الأديان، وأن الأديان كلها طريقة لطاعة الله وكل ما يتعلق بالقواعد المتميزة التي ذكرها والخاصة بقواعد الحوار الإسلامي-المسيحي.

أمر مهم أيضًا ذكره أن من المشكلات الكبرى التي نعانيها أن ينتقد دينٌ دينًا آخر لسبب أو لآخر، إننا نعلم أن في الإسلام الاجتهاد مباح في الفكر الإسلامي وأن حرية اختيار الدين فردية وأن

هذه الأمور ترتبط بخصوصية كل دين، وذكر أمرًا مهما للغاية نحن في أمس الحاجة إلى أن نكرره دون أن نكل أو نمل وهو الحديث عن الأغلبية والأقلية، نقول دائمًا إننا سبيكة وطنية عدد أفرادها يقترب من خمسة وسبعين مليون فردًا، دون أقلية أو أكثرية، وهذه نقطة جوهرية أحييه عليها.

إن كثيرًا مما قيل نحن في حاجة إلى أن نتمثله ونتمعن فيه، ومن هنا، فإنني أتوجه بأخلص آيات الشكر لهذا الحديث المتميز الذي سعدنا به في هذا المساء ويمس حياتنا جميعًا في هذا الوطن مسلمين أو مسيحيين.

والآن ننتقل إلى المداخلات والاستفسارات، والتي تسهم في إثراء موضوع الندوة:

سعد مهلل محمد (مدرس لغة عربية ومقرر لجنة نشر رسالة المكتبة بجمعية أصدقاء المكتبة):

إنه شرف نتيه به ونعتز ونعده وسامًا نضعه على صدورنا وتاجًا يكلل هامتنا أن نتشرف بحضور تلك الوجبة الدسمة لا نزكيه على الله ونحسبه كذلك، ولا نملك إلا أن نرفع أكف الضراعة إلى المولى بأن يجازيه عنا خير الجزاء.

باختصار، إذا سمح لي الدكتور محمد سليم العوا أن أقطف وردة لم تكن في بستان الحديث اليوم، ولكن على الرغم من ثراء اللغة العربية بمفرداتها فأنني أجد نفسي عاجزًا عن أن أعبر عما يجيش في نفسي ويعتمل في قلبي عما يحدث كل عام في عيد الفطر، أي موضوع الأهلة والحسابات الفلكية، موضوع قل شاكروه وكثر شاكوه، نعتز بسماع وجهة نظر الدكتور محمد سليم العوا.

سعيد حسن زلط:

متى يتم صدور مشروعي وزارة العدل والأزهر الشريف حول قانون المحاسبة والقصاص طبقًا للشريعة الإسلامية. كذلك، دعوى وكيل الأزهر الشريف الدكتور عمر الديب لتقنين أوضاع الفتوى وضرورة أن يكون للمفتي رخصة شرعية عندما يتحدث للصحافة والإذاعة والتليفزيون والفضائيات؛ أيضًا، فتوى دعوى شيخ الأزهر الشريف بجلد الصحفيين ثمانين جلدة؛ وموضوع حبس الصحفيين والغرامات المالية الكبيرة التي تصل إلى ١٥٠ ألف جنيه وخمس سنوات مع الشغل والنفاذ؛ أيضًا، موضوع فوائد البنوك ورأي الدكتور علي الثالوث والدكتور شيخ الأزهر الشريف في هذا الموضوع؛ وموضوع قانون الجنسية لأبناء الزوجات المصريات ومتى استكماله من الأجانب؛ وموضوع كتابة خانة الديانة في البطاقة الشخصية للمواطنين في مصر؛ وموضوع الفتوى الشرعية بتحريم الجمع بين العمرة والحج؛ وموضوع الإسلام الإلكتروني وتوحيد الأذان من قِبَل وزارة الأوقاف، وأخيرًا، مشكلة

هل القرآن مخلوق أم منـــزَّل من اللوح المحفوظ كما رأينا في مسلسل "الإمام الشافعي" الذي شاهدناه في شهر رمضان لهذا العام ٢٠٠٧.

مجدي عبد الرحمن إبراهيم (مهندس ومدير عام بشركة مصر للحرير الصناعي):

يقترب الدكتور محمد سليم العوا من عامه الخامس والستين، فأيهما أقرب إلى قلبه: العالِم الإسلامي المستنير أم أستاذ القانون المقارَن، ومن يقوم –في اعتقاده– بتجديد الخطاب الديني للمسلمين حاليًّا ومع غياب دور الأزهر الواضح. وقد أعلن في فبراير ٢٠٠٧ عن قرب وقف الفتنة بين السُنة والشيعة في العراق. كأمين عام لاتحاد علماء المسلمين، ما هو موقفكم الآن في استمرار هذه الفتنة دون حل لا يبدو قريبًا، وقد صرح المسئول عن الإسلام في الفاتيكان عن صعوبة الحوار مع المسلمين لأنهم يعتبرون القرآن هو الكلام النصيّ لله ولا يناقشونه بعمق، أمازالت الدعوة للحوار مع الفاتيكان قائمة رغم هذا التصريح؟

محمود فهمي رشيد (وكيل وزارة الإسكان سابقًا):

لماذا أباح الإسلام البِغاء مع الجواري؟ وهل كانت الديانتان اليهودية والمسيحية تبيحان ذلك مع تعارضه مع حقوق الإنسان وحقوق الأسرة؟

شريف خطاب (محاسب):

كيف نتطور بمصر خاصة وبالدول الإسلامية عامةً، فيما يختص بالنموذج السياسي وكيفية تداول السلطة في العصر الحالي، حيث إنه بتطور السياسة أي بتطبيق الديمقراطية، يتطور كل شيء؟ وما هو دور المثقفين في العالم الإسلامي وما هو دور رجال الدين الحقيقيين؟

أحمد سليمان بغدادي:

أصحاب المذاهب الأربعة لم يتخرجوا في الأزهر، فلماذا يحتكر الأزهر العلم والفتوى؟ كذلك أتساءل من الذي يستحق المحاكمة: الذين أفتوا بتكفير نجيب محفوظ، أم الذي طعن نجيب محفوظ بناءً على فتوى عمر عبد الرحمن وبعض علماء الأزهر؟

وهيبة محمد سكر (مدير عام الشباب والرياضة):

قرأت للشاعر أدونيس كلمة (الإسلام الأرثوذكسي)، أرجو تعريفي بمعناها.

عبد الرحيم محمد (أخصائي جراحة العظام في إنجلترا):

ما منشأ الإسلاموفوبيا في العالم الغربي، وكيف يواجهها المغتربون المسلمون؟

محمد حسنين أحمد (محرر صحفي بجريدة الجزيرة العربية):

ما موقف التشريع مما أطلقوا على أنفسهم "البهائيين"؟ وبنسبة كم في المائة يطبق القانون أحكام التشريع الإسلامي في بلدنا هذا؟ وما رأي الدكتور محمد سليم العوا فيما أفتى به فضيلة شيخ الأزهر مؤخرًا بخصوص حرية الصحافة؟ وما رأيه في دور الإعلام حينما يركز على الفتاوى المغلوطة دون التركيز على توضيح تصحيحها، وترك الساحة للفنانين بقطاع التليفزيون والسينما في إبداء نظرياتهم وانطباعاتهم في قضايا مهمة جدًّا دون الاحتكام للتشريع الإسلامي؟ وأخيرًا، ماذا سيكون رأي الدكتور العوا لو عُرض عليه منصب مفتي الجمهورية.

محمد سليم العوا:

أولا، بخصوص الحسابات الفلكية، أقول إن الذي أدين إلى الله تبارك وتعالى به أن الحساب الفلكي هو الذي يجب الأخذ به في هذا العصر نفيا وإثباتًا، وليس كما كان بعض مشايخنا مثل الشيخ أحمد شاكر، ومن قبله العلامة الشيخ تاج الدين السبكي في القرن الثامن، ومن بعدهما الشيخ يوسف القرضاوي منحه الله الصحة والعافية، يقولون من الأخذ به نفيًا فقط، أنا أقول نأخذ الحساب نفيًا وإثباتًا لأن الحساب يقيني والرؤية ظنية. واليقين يُقدَّم على الظن، وقد قال الرسول ﷺ "فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له" ولفظة "اقدروا له" تعني احسبوه، فإذا كان الحساب يتم الآن لمئات السنين القادمة ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه غير دقيق لكل الأسباب التي نعرفها، فأنا مع الحساب نفيا وإثباتًا ولست مع الرؤية البصرية، ومن يريد أن يقيم احتفالية يرتل فيها القرآن الكريم وتقدَّم فيها الأطعمة احتفالاً بالرؤية البصرية فلا جناح عليه، لكن الحساب هو المعتمد وغير الحساب محل الشك.

وحول تقنين أوضاع الفتوى، فأنا ضد ذلك، فلا يوجد ما يسمى تقنين أوضاع الفتوى، الناس يلجأون إلى من يثقون بعلمه ودينه ويستفتونه منذ بدأ الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولا يحتاج المفتي إلى رخصة ولا إلى شهادة ولا إلى إذن، ومن طلب هذا في المفتي فهو مخطئ، المفتي يفتي بالعلم لا بالشهادة الجامعية، إن الأئمة الأربعة لم يلتحقوا بالأزهر ولم يحصلوا على شهادات، لكنهم كانوا ولا يزالون أئمة الدنيا.

وحول مسألة ما صرح به فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فيما يتعلق بجلد الصحفيين، فالذي أظنه أنه قد أخطأ خطأ بيِّنًا في إنزاله آيات حد القذف على الذين يروجون الشائعات. الشائعة خبر يحتمل الصدق أو الكذب، وقد يأتي مروِّج الشائعة غدًا أمام المحكمة لمحاكمته فيثبت صحة ما قاله، وعندئذ لا عقاب عليه، أما القذف فهو رمي المحصنات الغافلات بالزنا والعياذ بالله، أو رمي الإنسان بنفي نسبه من أبيه وكأنه رمى أباه بالزنا، هذه جريمة؛ وترويج الشائعات جريمة أخرى. ترويج الشائعات جريمة تعزيرية أما الرمي بالزنا أو القذف فجريمة حديَّة. ترويج الشائعات يُسمح لصاحبها أن يثبتها بجميع طرق الإثبات، بينما الذي يرمي بالقذف لا يستطيع أن يثبته إلا إذا أتى أمام القاضي بأربعة شهداء عدول، فهناك فرق كبير بين ترويج الشائعات وبين القذف. وقد أخطأ فضيلة شيخ الأزهر، وجلَّ من لا يخطئ، وكل ابن آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون. المأخوذ على فضيلته أنه مصمم على ما يقول ويدافع عنه حتى اليوم في الجرائد، وكنت لا أحب له أن يفعل ذلك لأن الرجوع إلى الحق فضيلة، وقد قال عمر بن الخطاب لشُرَيْح القاضي: "لا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس ثم راجعت فيه نفسك وهُديت فيه لرشدك أن ترجع عنه غدًا، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل"، والأفضل لنا أن نتبع سُنة عمر بن الخطاب من أن نتبع الشعور بالذات.

أما موضوع فائدة البنوك فأنا لا أتكلم فيه على وجه الإطلاق، وكل ما نُشر بخصوصه على لساني كلام لم أقله، إن موضوع البنوك له أصحابه ولست منهم.

وحول ما يخص قانون الجنسية، أقول إنني مع منح الجنسية لأبناء جميع المصريات، وقد كتبت في ذلك قبل أن يكتب أحد، وترافعت فيه في المحاكم قبل أن يترافع أحد، إلا المتزوجة من فلسطيني، لأننا لا نقبل أن نقلل من عدد الشعب الفلسطيني حتى تطمئن زوجة بأولادها، فما دامت تزوجت فلسطينيًّا فلتتحمل ضريبة استرداد هذه الأرض بأن يكون أبناؤها وبناتها فلسطينيات وينجبوا المزيد من الفلسطينيين حتى نستطيع زيادة القوة لمواجهة إسرائيل، نحن لا نستطيع مواجهة إسرائيل بالسلاح ولا بالقنابل ولا بالجيوش النظامية، سنواجه إسرائيل بالفلسطينيين، إذن، فالمصرية التي تتزوج فلسطينيًّا تحتسب عند الله أنها تمكث غير مرتاحة في بلدها وأن أولادها لم يعودوا مصريين، وأنا ضد أن يتم منحهم الجنسية المصرية ولو منحوها فسيكون لنا موقف أشد من هذا.

حول ذكر خانة الديانة في البطاقة، فأنا مع هذا الأمر على أن تتم كتابته مرتين، مرة كتابة تثبت الواقع ومرة تثبت أي تغيير، كأن يُكتب مثلاً مسلم بالميلاد ثم مسيحي من التاريخ الفلاني إلى التاريخ الفلاني ثم عاد إلى الإسلام في التاريخ الفلاني أو لم يعد، والعكس صحيح بالنسبة لأهل

الديانات الأخرى، بمعنى أن يتم تدوين كل تاريخ بقي فيه الشخص على دينه أو خرج منه إلى دين آخر، وذلك لأن الدين –وجودًا وعدمًا– يترتب عليه آثار عملية، فهو يتزوج بديانته، ويرث بديانته، ويكون وصيًّا أو وليًّا على الأولاد بديانته، ويكون ناظرًا على الأوقاف بديانته، ويتم دفنه بديانته، وتتم الصلاة عليه بعد موته بديانته، فلابد من أن تعلن البطاقة تاريخه المسلسل مع الدين منذ يوم ميلاده وحتى نهاية حياته، وقد كتبت هذا الكلام ونشرته فكان رد الفعل أن ذلك يستوجب أن تكون البطاقة الشخصية دفترًا فقلت وما المشكلة في أن تكون دفترًا، لقد كانت البطاقة العائلية الورقية القديمة تشبه الدفتر، فما المانع أن يتم إصدار دفتر لمن يغير دينه مع الإبقاء على البطاقة الإلكترونية الحديثة بشكلها الحالي لمن يظل على دينه؟

وحول مسألة تحريم الجمع بين العمرة والحج أقول إن هذا كلام لا أساس له، لأن من يذهب لأداء العمرة، ويكون باستطاعته البقاء دون أن يخالف القوانين والأنظمة لأداء فريضة الحج فلا جناح عليه، ونحن ضد مخالفة الأنظمة والقوانين لأن في ذلك مخالفة لما قرره الحاكم المسلم وهو مستحق للطاعة في غير معصية. فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

وحول قضية ما إذا كان القرآن مخلوقًا أم منـــزَّلاً من اللوح المحفوظ فإن عقيدة أهل السُنة والجماعة أن القرآن قديم، حتى إن بعض أتباع الإمام أحمد بن حنبل سألوه فأراد أن يبالغ في نفي الحدوث، فقال "الكاغد (وهو الجلد المكتوب فيه لفظ القرآن الكريم) قديم والحبر قديم والقلم قديم"، إلا أن أهل السُنة والجماعة يعتقدون أن صفة الكلام أو قدرة الله سبحانه وتعالى ووصفه لذاته بأنه متكلم قديمة قِدم الذات الإلهية، أما ما نكتبه بأيدينا في الورق وننسخه فهذا من فعل البشر، لكن لفظ الله في القرآن قديم ولا نستطيع أن نحدد له عمرًا بآلاف السنين، لكنه قديم قِدَم الأزل، لا نعرف له بداية، ولا نستطيع أن نقول إن الله تبارك وتعالى فعل هذا في اليوم الفلاني أو قدر هذا في اليوم الفلاني، كل هذا لا يجوز.

وحول السؤال عن السُنة والشيعة، فقد أعلنا في فبراير ٢٠٠٧ أننا نسعى لوأد الفتنة بين السنَّة والشيعة ولا زلنا نسعى في هذا السبيل بكل قوة، وعندما تحدثنا لم نقصد العراق على وجه التحديد، فقد ضربنا بها المثل كنموذج، لكننا نسعى إلى وأد الفتنة بين السُنة والشيعة في العالم كله، لأن الفتنة موجودة في أوروبا وفي أمريكا وفي مصر وفي السعودية وفي السودان وحتى في بلد ليس فيها شيعي واحد مثل الجزائر، وذلك لأن أصابع أعدائنا قوية وممدودة وتصل إلى كل بقعة من بلادنا،

نحن نسعى لوأد هذه الفتنة في كل بقاع الأرض وهو دور أساسي جدًّا من أدوار الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين؛ نرجو الله أن يوفقنا فيه.

أما ما يتعلق بالحوار مع الفاتيكان، فأنا آسف، نحن لم ندع قط إلى حوار معه، فقد بدأ المسلمون الحوار مع الفاتيكان منذ اثنتين وأربعين سنةً بوفدٍ سعوديّ رأسه الدكتور معروف الدواليبي رحمه الله، الذي كان مستشارًا للملك فيصل في ذلك الوقت، وقد كنا في هذا الوقت شبابًا صغارًا تخرجنا لتونا في الجامعات واعترضنا على ذهاب هؤلاء الناس لمحاورة الفاتيكان، ولازلنا حتى اليوم نعترض على محاورة الفاتيكان، لأن الفاتيكان لا يعترف بأن الإسلام دين سماوي، ولا يقبلون حتى أخوَّتنا والعيش معنا كما يفعل إخواننا الأقباط في مصر، إن الفاتيكان ينظر إلينا باعتبارنا أعداء، ووثائقهم تقول ذلك، وهناك وثيقة ضخمة طُبعت في عام ١٩٨٠ ثم تُرجمت إلى العربية في عام ١٩٩٠ وقد علق عليها كل من الدكتور محمد عمارة والشيخ محمد الغزالي، أيضًا، ما قاله بابا الفاتيكان بنيديكتوس السادس عشر في ألمانيا في جامعته القديمة في سبتمبر ٢٠٠٦ كان كلامًا واضحًا وضوح الشمس لا يحتاج إلى تأويل. ومنذ هذا اليوم، قلنا إنه لا حوار بيننا وبين الفاتيكان، وأنا بصفتي أمين عام الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين جاءتني وفود من الفاتيكان، وموقفنا لم يتغير، والأسبوع الذي قبل العيد اتصلوا بي لتهنئتنا بالعيد فقبلنا التهنئة، فطلبوا تحديد موعدٍ للزيارة فدعوتهم في منـــزلي وأخبرتهم أن زوجتي تجيد الطهي، أي زيارة غير رسمية لن يكون فيها أي حديث عن الحوار الإسلامي المسيحي، ليس بيننا وبين إخواننا الكنسيين، الكهنة، الكاثوليك المصريين حوار، ولا بيننا وبين إخواننا الكاثوليك في العالم كله حوار، حتى يعود بابا الفاتيكان عن موقفه. وقد ذُكر اسمي واسم أكمل الدين إحسان أوغلو بالباطل في مشروع بيان أعدَّ بغرض عرضه على العالم، وحتى يناقشوا بابا الفاتيكان فيه، وقد جاءهم الرد اليوم ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٧ من مسئول الحوار مع الأديان الأخرى (أي غير الكاثوليكية) في الفاتيكان الذي قال إنه لا يمكن الحوار مع المسلمين لأنهم يعتقدون أن القرآن كلام الله من السماء نزل! وأقول إن هذه هي عقيدة المسلمين جميعًا الذين يؤمنون بأن القرآن الكريم كتاب من السماء، وعلى ذلك يحيون وعلى ذلك سيموتون، ومن يرفض قبول هذه العقيدة فإن عليه أن يتحاور مع نفسه، نحن لن نحاور الفاتيكان —ولم نكن نحاوره في الماضي– مادام على ذلك.

وحول السؤال الخاص بالبغاء، أود أن أشير إلى أن الآية القرآنية تتكلم عن شأن من شئون العرب في الجاهلية، كان العرب في الجاهلية يُكرهون الإماء على البِغاء ليأخذوا من أموالهن، وهو ما يسمى الآن القوادة، وقد نهى الله تبارك وتعالى العرب عن هذا الفعل، وهكذا، فإن الإسلام لم يُبِح

البغاء أبدًا، بل نهى عنه في قوله تعالى ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وكلمة "إن أردن" خرجت بما يسميه العرب مخرج الغالب، بمعنى أن الغالب أن المرأة تريد التحصن، لأنه لا توجد امرأة تريد أن تذل نفسها بهذه المهنة القبيحة، والأغلب أنها تريد أن تتحصن. ولا يمكن للإسلام أن يبيح البِغاء، وهو الذي يجعل الزنا جريمة من جرائم الحدود، ويعاقب المتزوج الزاني بالرجم حتى الموت ويعاقب الزاني غير المتزوج بجلده مائة جلدة.

وحول السؤال عمّن يستحق المحاكمة في موضوع طعن نجيب محفوظ، أقول إن من كفروه تابوا وأنابوا إلى الله الذي لم يجعل في شرعه ولا قدره عقاب تائب أبدًا، مثلما يقول ابن قيِّم الجوزية في الطرق الحُكمية، وأما الذي طعنه فأظن أنه قد تلقى عقابه الدنيوي، ولكن الأجمل هو ما قاله نجيب محفوظ نفسه رحمه الله، فقد قال إنه قد عفا عن هذا الشاب الذي طعنه وقال عنه إنه حتمًا شاب مضلَّل، وكان الأديب الكبير لا يزال في المستشفى يتلقى العلاج، ومع ذلك، فقد ارتقى بنفسه وخلقه وألمه، ونحن نسامح الجميع ونسأل الله أن يهدي الأمة كلها إلى ما يجعلها بالفعل ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

وفيما يتعلق بالإسلاموفوبيا أو ظاهرة الخوف من الإسلام، فهي ظاهرة ليست جديدة، ولكنها قديمة جدًّا وقد بدأت بالحروب التي عُرفت في التاريخ باسم الحروب الصليبية، ولكن تفاقمت وظهر الحديث عنها إلى النور بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ عندما حدث تفجير برجي التجارة في أمريكا، ويصدر الآن تقرير سنوي عن الاتحاد الأوروبي يحرره صديقنا البروفيسور يورجين نلسون، وقد صدر منه خمسة تقارير حتى الآن من ٢٠٠٢ وحتى ٢٠٠٧، وهو يرصد سنويًّا حالات انتهاك حقوق المسلمين والمسلمات في أوروبا والتي تبدأ من الاعتقال بغير سبب وتنتهي بضرب مسلم أو مسلمة في الطريق، أو يتعرضون للمسلم إذا ما دخل محطة بنـــزين على سبيل المثال ويقومون بتكسير زجاج سيارته، وقد حدث ذلك ذات مرة مع أحد المصريين وعندما سألهم عن سبب ما فعلوه فقالوا لأنه مسلم فقال لهم الرجل إنه قبطي مصري! وقد ذكر الدكتور ميلاد حنا ذات مرة أنه عندما نسير معًا في شوارع القاهرة على سبيل المثال، فإنه لا يمكن التفرقة بين المسلم والقبطي ولا أحد يعرف من ابن خالة من! وقد قُتل أيضًا مصري في لوس أنجلوس وتبين أنه قبطي مصري أيضًا. فهناك ظاهرة خوف من الإسلام غير مبررة ولا سبب لها، ولكنها لا تعكس خوفًا بقدر ما تعكس عداوة وبغضاء وكراهية يجب أن نحاول إزالتها بمواقف إيجابية جيدة.

وحول الفتاوى المغلوطة، أقول إن الذي يفتي يتحدث باسم الله سبحانه وتعالى، فلينظر أحدنا أين يضع نفسه، إذا قال هذا جائز وهذا ممنوع، هذا حرام وهذا حلال، إذا أخطأ فهو يخطئ على الله، وعندما كتب ابن قيِّم الجوزية في هذا الموضوع، وضع عنوانًا لكتابه "إعلام الموقِّعين عن رب العالمين" بمعنى أن من يفتي فكأنه يوقِّع عن رب العالمين، فمن يتصدى لإفتاء الناس في الحلال والحرام عليه أن ينتبه إلى أنه يتكلم باسم الله، وإن لم يقل هو إنه يتكلم باسم الله، فالناس يسألونه عن حكم الله، فلا يجب أن يتحدث إلا وهو على بينة ليقول كلامًا يضمن أنه إذا وقف بين يدي الله يوم القيامة ينجو من الحساب والعذاب. ويحدث في كثير من الأحيان أن يُساء فهم فتوى أو يُساء نقلها، وقد روت لي زوجتي قصة عن الدكتور عبد الله شحاته، صديقنا وأخونا رحمة الله عليه، عندما سألته سيدة على الهواء في الكويت عن خلع ابنتها للحجاب في يوم زفافها ثم ارتدائها له مرة أخرى بعد الزواج، فرد رحمه الله بأن هذا شيء بسيط ودعا لها أن يغفر الله تعالى ما صنعت وانتهى الموضوع، ولكن زوجتي فوجئت في اليوم التالي بأن كثيرات من النساء فهمن أن الشيخ عبد الله شحاته أفتى بخلع الحجاب وأباح السفور! وأرجو من طلاب الفتوى أن يسألوا أهل العلم الذين يخافون ربهم ويخشون سوء الحساب.

فوزي بغدادي (محاسب):

في كلمة الرئيس مبارك في الاحتفال بليلة القدر دعوة إلى علماء الأمة الإسلامية لتجديد الخطاب الديني وصولاً إلى خطاب ديني متطور، فما هو الخطاب الديني المتطور؟

محمود عبد الواحد عوضين:

تتعدد المذاهب الإسلامية بين السُنة والشيعة وغيرها، وهذا التعدد يترتب عليه انقسام واختلاف في الرؤى للآخر، أما آن الأوان لتوحيد هذه المذاهب على أسس أصيلة نتفق مع صحيح الدين وحتى يمكن التواصل مع الآخر على أساس سليم؟ وكيف الطريق إلى ذلك؟ وما هي مرئيات الدكتور محمد سليم العوا في هذا الموضوع؟

أحمد القاضي (طالب بالفرقة الثالثة – قسم هندسة الإنتاج – كلية الهندسة – جامعة الإسكندرية):

اقترح الإمام الخوميني نظرية ولاية الفقيه كمخرج للإمامية من جمود انتظار الإمام المنتظر، فما مخرج سائر الإسلاميين من جمود انتظار الخلافة؟ وهل الديمقراطية بمفهوم الشورى تعتبر مخرجًا مناسبًا؟

إبراهيم جمال الدين إبراهيم (طالب بالصف الثاني الثانوي – مدرسة العباسية الثانوية):

إنه لشرف كبير أن أكون في هذا اللقاء، وأسأل الله أن ينفعنا بما تعلمناه اليوم من الدكتور محمد سليم العوا. عندي سؤال عن الجهاد، إذا كان هناك خلاف عسكري بيننا وبين أية دولة، فهل نكتفي فقط بمحاربتها عسكريًّا أم نحارب المدنيين الموجودين في هذه البلد؟ أيضًا، بالنسبة لموضوع الإسلام الآخر وما يتعلق بمسألة الجزية والتي أثيرت مؤخرًا، والسؤال هو هل من الممكن أن يتم تطبيق الجزية أم لا؟ وإذا أمكن تطبيقها، فكيف يتسنى ذلك؟ أخيرًا، نشأت في النهاية خلافات سياسية عن علاقة الدين بالسياسة، وأن الدين لابد أن يتم فصله عن السياسة وأنه لا علاقة لأي منهما بالآخر، في حين يقول آخرون أن الدين أصل السياسة ولا يمكن فصلهما، وأنا في حيرة وأود أن أسأل ما إذا كان الدين منفصل فعلاً عن السياسة أم أن كلاهما في قالب واحد ولابد أن يتم تطبيقه. وأود أن أنهي حديثي بتعليق بسيط، وهو أن الذئب لا يأكل إلا من الغنم القاصية، فالترابط والوحدة في غاية الأهمية.

هدى سالم حقي (محامية بالاستئناف):

أود أن أسأل عن ورقة بن نوفل، عندما روت له السيدة خديجة رضي الله عنها عن الحلم الذي رآه الرسول ﷺ، رد مفسرًا الحلم بأن محمد هو نبي آخر الزمان، و لم يكن ورقة بن نوفل مسلمًا لكنه كان يؤمن بأن الرسول ﷺ سيكون نبي آخر الزمان، فما موقف ورقة بن نوفل؟ هل يعتبر معتنقًا للإسلام أم لا؟ وهل يُعتبر مقتنعًا به أم لا؟

محمد عادل أبو الخير (طبيب):

كيف كُتب عن الرسول ﷺ مليون حديث على الرغم من أنه لم يقل في مكة أي حديث؟ قد كان المسلمون في مكة قبل الهجرة قلة، فقطعًا لم يروجوا أي حديث نبوي، وبعد الهجرة من مكة إلى المدينة قام النبي ﷺ بأربع عشرة غزوة في السنوات الاثنتي عشرة اللائي مكث فيهن بالمدينة، وهذه الغزوات تتطلب إعدادًا ووقتًا وجهدًا وخيلاً وإبلاً. أيضًا، كان الرسول ﷺ متزوجًا من عدد كبير من النساء، وكان يقوم عليهن ويرعى شئونهن كزوج لهن. وأود أن أشير إلى أن القرآن الكريم يقول ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فكيف يضيف عليه الرسول ﷺ أحاديث متعديًا على هذه الآية المكية؟ هذا بالإضافة إلى أن الرسول ﷺ وصحابته الأجلاء كانوا مهمومين بكتابة القرآن حرفًا حرفًا وكلمةً كلمةً في المدينة المنورة.

عبد الوهاب مصطفى عبد الحليم:

ما رأي الشريعة الإسلامية الغراء في الآتي: تلبية دعوة زميل مسيحي لحضور فرح أو عزاء في الكنيسة؟

ياسر سيف (مهندس – رئيس الجمعية الدولية للثقافة والتنمية):

ما هو تعليق الدكتور محمد سليم العوا بأن المظاهر الإسلامية في ازدياد من الحجاب إلى الذقون؟ وفي الوقت نفسه يقل المضمون وتزداد المظاهر السلبية والفساد يستشري في كافة المجالات، هل الفقر والجهل هما السبب؟

محمد أنور (رئيس مجموعة الشباب من أجل التنمية):

سألني ذات مرة شخص من غير المسلمين فقال لي: "أنتم تكرهون غير المسلمين بأمر موجود في القرآن، في الآية التي تقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾، فكيف تريدون أن نعاملكم بسماحة؟ وكذلك الآية التي تقول ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾، فنحن بالنسبة لكم كفارًا، فكيف تريدوننا أن نتعامل معكم؟"، فكيف أرد عليه؟

يحيى عثمان:

إن الضربات التي تُكال للإسلام والمسلمين للأسف أغلبها لا تأتي من الآخر، ولكنها تأتي من تصرفات المسلمين وردود أفعالهم العشوائية والتي تصب في غير صالحهم، وتسهم في إعطاء الآخر صورة مشوهة عن الإسلام، وخير مثال على ذلك الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وردود الفعل العنترية التي أعطت هذا الرسام النكرة الشهرة والمال بما لم يكن يحلم به، ماذا نفعل حتى نعطي للآخر الصورة الحقيقية لإسلامنا الذي يتعامل مع الحياة تعاملاً سمحًا؟

أحمد إبراهيم شلبي (محاسب):

في أول إبريل ١٩٦٤، كان عيد الفطر المبارك، وأصدر البابا بولس السادس وثيقة من دولة الفاتيكان تقول إن علماء المسيحيين يجب أن يقوموا بتهنئة المسلمين وألا يكتفوا بالتهنئة الشفهية، ولكن أن يذهبوا للمسلمين حتى بلادهم، وتم الاتفاق على أن يتم اللقاء في السعودية، وقد استقبلهم المرحوم جلالة الملك فيصل. وقد أعيد طبع الوثيقة ثلاث مرات منذ عام ١٩٦٧وحتى عام ١٩٧٠. وفي هذه المرات كانت الزيارة للجامعة الكبرى في الدمام حيث خطب أحد كبار الشخصيات الدينية في دولة الفاتيكان وعظَّم القرآن الكريم ونكَّس كتبهم، ولا يوجد مسلم واحد تحدث عن هذا

الموضوع، وأعيدت الخطبة في الجامع الأزهر و لم يذكرها أحد. وفي كل مرة كان الزائرون يطلبون رد الزيارة من المسلمين إلى دولة الفاتيكان وذلك لأن عدم رد الزيارة يُشعرهم بالإهانة، فأرسل الملك فيصل علماءً إلى الفاتيكان، وإلى أماكن أخرى مقدسة؛ منها مكان في سويسرا سُمح للعلماء بإقامة صلاة الظهر والصلاة عند أبواب الكاتدرائية. وعندما عرف الطبيب الفرنسي موريس بوكاي هذا كله، لم يهمل الموضوع وأحضر الوثائق وأصدر كتابًا تمت ترجمته إلى اللغتين الإنجليزية والعربية بإشراف الملك فيصل رحمه الله، ويُقال إن لموريس بوكاي كتابين آخرين يبرز فيهما تعظيم القرآن وتأكيد على أنه لا يعارض العلم.

وعندما أشرف البابا يوحنا بولس السادس على الموت طلب أن يتم وضع جثمانه في قماش أبيض على غرار الكفن الإسلامي، وعندما قالوا له إن المسلمين يغطون وجه الميت فطلب أن يتم له ذلك، وعندما قالوا له إنهم ينثرون ترابًا على كفن الميت فطلب منهم أن يفعلوا ذلك أيضًا.

أحمد حسن مصطفى (استشاري اقتصادي اجتماعي):

ونحن على وشك بدء موسم الحج، كنت قد كتبت اقتراحًا يتعلق بالحج الذي يعتبر أكبر مؤتمر إنساني عالمي يأتيه أربعة ملايين شخص، فلماذا لا يتبنى الحج أجندة تحل مشكلات المسلمين خاصة والإنسانية عامة، مما يتفق مع ما جاء في الحج وما قاله الرسول ﷺ في حجة الوداع، وليس الحج قاصر على الشعائر الدينية وهي تنتقص من أجر الحج إلى ٥٠% من وجهة نظري، يجب أن تكون هناك أجندة خاصة بالفقر وأخرى خاصة بالحريات وثالثة خاصة بحقوق الإنسان. أما الاقتراح الآخر هو ألا يكون هناك فصل بين وفود الحجاج بعضهم البعض مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، وقد كتبت هذه الأفكار باللغتين الفرنسية والإنجليزية ونُشرت في العالم على المدوَّنة الخاصة بي.

وأختلف مع الدكتور محمد سليم العوا في موضوع الحوار مع الفاتيكان، فعندي وجهة نظر مختلفة تمامًا لأننا لم نعد أنفسنا تمامًا للحوار مع الغرب ونفشل عادة في تحقيق ذلك، وذلك لأننا غير منظَّمين وليست عندنا الأجندة المناسبة، ونرسل بعض من هم غير مؤهلين ليستفيدوا استفادة مادية تامة من هذه الحوارات دون أن يفيد الحوار نفسه بأي شيء، ويحدث هذا في حوار الأديان وحوار الثقافات وحوار الحضارات، والخطأ لا يزال مستمرًّا من الجانب العربي والجانب المسلم. وسوف أكرر في هذا السياق مقولة رددها دينيس روس لشاشة الجزيرة ونُشرت في العالم كله، عندما سأله صحفي قائلاً: "كيف لا تحاول أمريكا مساعدة العرب والمسلمين في حل مشكلاتهم مع الجانب

الإسرائيلي؟" فرد قائلاً: "إن أمريكا لا سلطة لها، إنها دولة ذات مصالح في المنطقة، ولو اجتمع العرب أنفسهم واتحدوا وقرَّبوا بين بعضهم البعض مثلما فعلت أوروبا، أعتقد أنهم كانوا سيفرضون كلمتهم ليس فقط على إسرائيل ولكن أيضًا على الولايات المتحدة الأمريكية نفسها".

والقوة العسكرية لا تمثل فقط القوة المطلوبة في المواجهة، فالبحث العلمي والجمعيات الأهلية والإعلام دعائم أساسية للنهضة.

مرام (لم تذكر المتحدثة باقي الاسم):

أطلب من الدكتور محمد سليم العوا أن ينصحني بعد أن حصلت على دبلوم الشريعة الإسلامية عن كيفية القيام بالبحث الشرعي، وقد درسنا كتابه "أصول التشريع الإسلامي"، وقد كان أستاذنا الدكتور محمد إمام دائمًا ما يقول إن الدكتور محمد سليم العوا رجل محقِّق فعلاً، وأنا أود أن أتعلم كيف أكون محقِّقة، من أين أبدأ في البحث الشرعي؟ لأنه تصيبني الحيرة حينما أدخل إلى مكتبة بها كتب عن الشريعة وذلك من كثرتها وتعددها.

محمد سليم العوا:

حول السؤال عن معنى الخطاب الديني المتطور أقول ما المسئول عنه بأعلم من السائل، فهناك دين اسمه الإسلام، وهناك دين اسمه المسيحية، وهناك دين اسمه اليهودية، وهناك أديان أخرى كثيرة، أهل كل دين يعرفون كيف يخاطبون الناس عن دينهم. ولا يستطيع أحد أن يطلب من أهل دين أن يغيروا خطابهم الديني وإلا فهو يطلب منهم تغيير دينهم. إن كل ما نستطيع طلبه هو التجديد في الخطاب الديني لا تغييره لأن النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها". فالتجديد سمة من سمات الإسلام، ويجب أن يقوم به العلماء القادرون وليس شخصًا واحدًا ولكن عشرات، وربما مئات، على اتساع رقعة العالم الإسلامي، والمطلوب هو التجديد، أما التطوير، فلا أعرف له معنى.

وحول تعدد المذاهب الإسلامية وتوحيدها، أقول لا نوحدها لأن الله تبارك وتعالى خلقنا مختلفين، يقول تعالى ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، فقد خلقنا الله للاختلاف، ومن هنا، فلا أريد توحيد المذاهب أبدًا، ولا أريد من أهل مذهب أن يتركوا مذهبهم ليلتحقوا بالمذهب الآخر أو العكس، وكان أخونا الجليل الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله يقول "أنا أحرم أن يتسنن الشيعي أو يتشيع السُني"، طبعًا كلمة

"أحرم" كلمة كبيرة، لكنه كان يرددها حتى يبين للناس أن المسألة ليست منافسة بين السُنة والشيعة، ولكن المنافسة هي في إرضاء الله، وفي التقرب إليه، وفي حُسن عبادته، لكنها أبدًا ليست منافسة مذهبية، ليظل كل شخص في مذهبه، ولنتعاون جميعًا على تعمير هذه الأرض.

وحول السؤال المتعلق بما كان الخميني رحمة الله عليه قد اقترحه بخصوص ولاية الفقيه، وأود أن أوضح أن أول من تحدث في هذا الموضوع لم يكن الخميني، بل كان المُلا أحمد النراقي المتوفى في حدود عام ١٢٤٤ هجرية وهو من علماء الشيعة، وقد بدأ بالتفكير فيها من منطلق التفكير في الولاية على القُصَّر ومن لا وليّ عليهم من الأطفال إلى التفكير في الولاية على الأمة، وقد كانت فكرته نابعة من أنه إذا كنا نهتم بالمال ونأتي له بوليّ فقيه يكون مسئولاً عنه لينفقه في مصلحة الطفل، فلماذا لا ينطبق ذلك على الأمة والسياسة والتجارة والزراعة والصناعة والحرب والسلام أن يكون لها ولي فقيه، فهو الذي قام بتطوير النظرة إلى ولاية الفقيه، وهي لا تزال محل خلاف بين الشيعة الإمامية إلى اليوم، وهناك من المراجع الكبار من لا يؤمنون بها ومنهم آية الله علي السيستاني الذي تسمعون اسمه كثيرًا بعد الحرب العراقية الأمريكية، أيضًا آية الله كاظم الحائري، كلاهما من المراجع النجفية وكلاهما ضد ولاية الفقيه، لكن هناك آخرون يؤيدونها.

وهناك مخرج جميل للأمة كلها من الممكن أن يجمع بين السُنَّة والشيعة، فقد قال الشيخ محمد مهدي شمس الدين إنه لا يمكن الوصول إلى الخليفة، كما يتمنى أهل السُنة، والعالَمُ على هذه الشاكلة، وكذلك يعلم الله متى سيعود الإمام الغائب، كما تتمنى الشيعة، ولذلك ابتكر نظرية سماها ولاية الأمة على نفسها، وهو نفسه ما تنادي به الديمقراطية من حيث إنها تختار فردًا واحدًا وتعطي له زمنًا معينًا من الحكم وتحاسبه بعد أن ينتهي هذا الزمن بإقصائه أو التجديد له أو انتخاب غيره. إن النظام الديمقراطي هو أعظم ما اكتشفته البشرية من طرق الحكم في التاريخ كله، وعلى المسلمين أن يكونوا أحرص الناس على تطبيقه لأنه لا توجد أمة محرومة من حقوقها كما تُحرم الأمة الإسلامية من حقوقها، والطريق الوحيد للحصول على بعض حقوقنا هو التصميم على الديمقراطية والتمسك بها.
وحول السؤال عن الجهاد، أقول إن الجهاد ليس فقط الجهاد بالقتال، ولكن هناك الجهاد بالمال أيضًا والذي يأتي أحيانًا قبل الجهاد بالسلاح، كما أن الجهاد بالنفس لا يكون ضد العدو فقط ولكن ضد النفس الأمارة بالسوء أيضًا ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وضد شياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زُخرف القول غرورًا، ولابد لعلماء الدين أن يوضحوا المقصود بأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ويبينوا فضله عند الله تعالى.

وحول السؤال عن مقاتلة المعتدي في بلده، أقول إنه لا يمكن مقاتلة المحتل في بلده، ولا أن مقاتلة المدنيين منهم في بلادنا لأنهم دخلوا إليها بعهد وأمان، نحن نقاتل المحتل وحده سواء أن كان عسكريًّا أم خادمًا للعسكريين، أما الأجنبي المسالم فلا يجوز قتله ولا الاعتداء عليه ولا التعرض له بسوء، وإخواننا الذين اعتدوا على الأمريكيين في العراق في المحنة الأخيرة أدنَّاهم في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وقلنا إن هذا دم محرَّم وإن الذين أباحوه مخطئون إسلاميًّا، فنحن لا نقاتل إلا من يقاتلنا، أما من لا يقاتلنا فلماذا نقاتله؟

أما فلسطين فموضوعها مختلف، لأن كل الموجودين على أرض فلسطين معتدون، اعتدوا أصلاً على أرضنا العربية التي هي ليست أرضهم، كلهم معتدون، وكلهم جنود في الجيش رجالاً ونساءً، والعمليات الاستشهادية التي تقوم بها حماس والجهاد وكتائب شهداء الأقصى وغيرهم كلها عمليات بطولية، لكن لا ينطبق ذلك على الإسرائيلي الذي يدخل إلى الأراضي المصرية أو الأردنية أو غيرهما. لأنه يدخل بأمان تلك الدولة، وهي المسئولة عن هذا الأمان ولا يجوز للأفراد نقض أمانه بالعدوان عليه.

وحول موضوع الجزية، أقول إن الجزية عقد وليست وضعًا، عقد بين طرفين. انتهى هذا العقد بانتهاء طرفيه، والدولة الإسلامية التي أبرمت عقد الجزية مع غير المسلمين في البلاد التي دخلها المسلمون انتهت بانهيار الخلافة وبدخول الاستعمار إلى بلادنا، وهكذا، انتهى العقد لأن أطرافه انتهوا، وتم إنشاء دول جديدة تحكمها نظم ودساتير جديدة، لقد انتهى أمر الجزية، وليس بيننا وبين إخواننا الأقباط إلا المواطنة والمساواة والتكافل الذي تحدثت عنه، كما أنهم يحاربون معنا في وقت الحرب، وإذا اطلعتم على "فتح الباري في شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني فستجدونه يقول: "والجزية عند الجمهور بدل عن الجهاد"، وذلك لأنه لم يكن غير المسلم يكلَّف بالجهاد لأن الجهاد كان دينيًّا فكيف يتم تكليف غير المسلم به؟ أما الآن، فغير المسلم يقاتل مع المسلم، ويعطي بلده دمه، فكيف يعطينا دمه ونأخذ ماله؟

لا يمكن فصل الدين عن أي شيء في الحياة وليس السياسة فقط، وهذه الإشكالية اخترعها بعض السياسيين بقولهم لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، وهي إشكالية مغلوطة، لأنه يمكن بعدها القول بأنه لا دين في الطعام ولا طعام في الدين، وأن نأكل لحم الخنـــزير ونشرب الخمر كيفما نشاء، ثم لا دين في الزواج ولا زواج في الدين بأن نتزوج كيفما نشاء أو لا نتزوج ونعيش كالسائمة، ثم لا تجارة في الدين ولا دين في التجارة بأن نستحل الحرام والربا ومال اليتيم، فإذا بدأنا

بفصم عرى الإسلام عن الحياة بالسياسة، فإننا سوف ننتهي بأنه لا داعي لأن نصلي لأن ربنا رب قلوب! الدين لا ينفك عن شيء من الأشياء في حياة الإنسان، عَلِمَ ذلك من عَلِمَهُ وجَهِلَهُ من جَهِلَهُ، قَبِل ذلك من قَبِلَهُ وأباهُ من أباه. نحن لا نغضب من أحد، لكن هذه هي طبيعة الدين لا يمكن أن تفصله عن أي شيء في حياة المؤمنين به أبدًا.

وحول البهائية ومشروعيتها، أقول إن الإسلام جاء فوجد أديانًا في الأرض، أقر أهلها جميعًا، حتى إن المسلمين عندما دخلوا العراق وفارس (إيران) ووجدوا المجوس اختلفوا في أمرهم، فمن الصحابة من قال إنه ليس لهم إلا السيف لأنهم كفار ويعبدون النار، إلا أن صحابة آخرين قالوا بمعاملتهم كأهل الكتاب على ألا يأكل المسلمون من ذبائحهم لأنهم ليسوا من أهل الكتاب في الأساس، وألا يتزوج المسلمون من نسائهم، عدا ذلك يتركوهم على دينهم وذلك لأنهم وجدوهم في هذه الأرض على هذا الدين، وقد أُمروا بترك الناس وما يدينون حتى لو كان دين عبادة النار. وعلى سبيل المثال، يوجد في شمال العراق طائفة تسمى "اليزيديين" وهي جماعة موجودة من قبل الإسلام، طوروا ديانتهم وجعلوا لأنفسهم نسبًا مع الإمام علي بن أبي طالب، وهو نسب مكذوب، لكن المسلمين تركوهم، وكذلك الأمر حدث مع الصابئة الذين ذكرهم القرآن الكريم والذي يعبدون الشمس، تركهم المسلمون أيضًا لحالهم. كل الأديان التي وجدها الإسلام في الدنيا تركها ولم يُكره أحدًا من أهلها على اعتناق الإسلام؛ أما بعد الإسلام، فلا يُقبل دين جديد لأن الإسلام هو خاتم رسالات السماء إلى الأرض، ويخاطب القرآن الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، ومن هذا المنطلق، قد يكون بوذا رسولاً من هؤلاء، قد يكون للمجوس نبي وأضاعوا كتابه، أو كان لليزيديين نبي وهجروه، فما وُجد قبل الإسلام من الأديان يُترك على حاله لأننا لا نعرف أصله، أما من يدعي أنه أنشأ دينًا وجاءه وحيٌ وجاءته رسالة بعد الإسلام فكذَّاب قطعًا، لأن الله تبارك وتعالى ختم الرسالات بمحمد ﷺ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، وهكذا، لا تُعَدُّ البهائية والقاديانية، وغيرهما من الأديان التي ظهرت بعد الإسلام، مقبولة لأننا لا نقبل بعد الإسلام دينًا، ولا نعترض على أي دين قبل الإسلام. والسؤال هو كيف نتصرف إذن مع البهائيين في مصر؟ والإجابة هي أن نضع لهم "شرطة" أمام خانة الديانة في البطاقة، بحيث يُعرف أن صاحب هذه البطاقة يعتنق أحد الأديان التي ظهرت بعد الإسلام، هكذا ببساطة شديدة ودون أن نحاربه أو نقتله أو نرغمه على الإسلام.

وعن ورقة بن نوفل، أقول إنه كان نصرانيًّا بالحديث الصحيح المذكور في البخاري ومسلم والذي يقول عنه إنه "كان قد قرأ الكتاب العبراني" أي التوراة والإنجيل بلغتهما الأصلية، وعن وضعه وموقفه من النبي ﷺ فهو شخصيًّا قد أعلنه عندما قال "ولئن يدركني يومك، لأنصرنك نصرًا مؤزرًا"، فسأله النبي ﷺ "وما يومي؟" فرد عليه ورقة بن نوفل "عندما يُخرجك قومك"، فسأله النبي ﷺ "أو مُخرجيَّ هم يا عمُ؟" وقد كان يلقبه "يا عمُ" مثلما كانت تناديه السيدة خديجة، فرد عليه قائلاً "ما أتى أحدٌ قومَه بمثل ما ستأتيهم به إلا أخرجوه". وقد وافاه أجله قبل أن يدركه اليوم الذي وعد به النبي ﷺ، فهو إن شاء الله على خير، وقد كان من أهل الكتاب الذين ماتوا على دين صحيح قبل البعثة المحمدية، وقد كان يُطلَق على ورقة بن نوفل وأمثاله في الجزيرة العربية "الحنيفيين" لأنهم كانوا على ملة إبراهيم، سواءً منهم من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا. وجدير بالذكر أنه عندما بُعث النبي ﷺ لم يكن هناك في العرب إلا شيء قليل من بقايا دين إبراهيم وهو ما يتعلق بمناسك الحج، أما الباقي فكان قد اختفى.

وحول ما ذُكر عن المليون حديث، أقول إنني لم أسمع أبدًا في حياتي إن الرسول ﷺ قال مليون حديث، إن كل ما نُسب إلى النبي ﷺ بين صحيح وضعيف ومنحول لا يزيد في مجمله كله عن ستمائة ألف حديث. وعلم الحديث مثل كل علوم الهندسة والطب والجغرافيا والتاريخ واللغة العربية يعرفه أهله، ولا يجوز لأحد من غير أهل أي علم أن يدلي فيه بدلوه ويقول هذا صواب وهذا خطأ، عَلِمَ ما أقول من عَلِمَ وجَهِلَه من جهل، فمن علم فله الحسنى ومن جهل فالله يهديه إلى الحق بإذنه إن شاء.

وحول السؤال عن تلبية دعوة فرح أو عزاء من زميل مسيحي، فبالطبع تلبية دعوة الفرح واجبة، أما تلبية دعوة العزاء فلا تحدث لأنه من الواجب الذهاب إلى العزاء دون انتظار دعوة أهل المتوفى! من الواجب مشاركة إخواننا المسيحيين في أفراحهم وأحزانهم وتهنئتهم في أعيادهم، لأن ذلك سيسعدهم ويريحهم، وهذا مقتضى الأخوة في الإنسانية وفي الوطن. وأنا أذهب إلى الكنائس في الأفراح والأحزان لمجاملة إخواني وأصدقائي المسيحيين وهم يدركون حدود ما يجب علي مجاملتهم فيه ولا يطلبون مني أكثر منه.

وأنا مع من قال إن المظاهر الإسلامية تزيد. ولكنني أختلف معه في أن المضمون يضعُف. المظاهر تزيد والمضمون يزيد، والعيش بين الناس يوضح أن المضمون يزيد زيادة حسنة ونحن نأمل في خير كثير في المستقبل إن شاء الله. وعندما يكون الثوب أبيض وبه بقعة سوداء فإنها تكون ظاهرة

أكثر من أن يكون الثوب كله ملطخًا فلا نتبين البقعة السوداء فيه، فعندما ظهر تمسك الناس بمظاهر دينهم، فإنهم أصبحوا يرون كل خطيئة حتى لو صغيرة يرونها كبيرة، أما عندما كانوا في غيهم سادرين لا يدركون ما يقولون ولا ما يفعلون، فإن أحدًا لم يكن يهتم ولا يرى.

وحول من قال إن المسلمين يكرهون غير المسلمين، أقول إنه مخطئ، لأن الآية التي أشار إليها هي الآية الأولى من سورة الممتحنة التي تقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾، إذن، المقصود هنا من يذهبون من غير المسلمين لموالاة مشركي مكة الذين أخرجوا الرسول ﷺ من مكة، فالحديث هنا ليس عموميًّا عن كل اليهود والنصارى، ولكنه يختص بمن كانوا يوالون كفار قريش منهم. أما الآية التي تقول ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ فإنه من الطبيعي أن يكون كافرًا في نظر المسلم لأنه لا يؤمن بالوحدانية المطلقة لله التي يؤمن بها المسلم، وأن يكون المسلم كافرًا في نظره لأنه لا يؤمن بأن المسيح ابن الله، وهذه مسألة طبيعية للغاية، لأنه لو قال أي من الطرفين إنه يؤمن بما يقوله الطرف الآخر فقد توحد الدين، والديانات مختلفة، وكما كررنا مرارًا وتكرارًا في هذه المحاضرة إن مرجع هذا الاختلاف والفصل فيه يرجع إلى الله تبارك وتعالى يوم القيامة وليس محل الفصل فيه ولا موعده في هذه الحياة.
وحول الصورة الإسلامية الجيدة، أقول إننا لا نستطيع يا إخواني وأخواتي إعطاء صورة إسلامية جيدة إلا إذا كان الأصل جيدًا، فإذا كان نيجاتيف الصورة مهزوزًا فإن الصورة ستكون مهزوزة، وهذا هو حالنا، مازال النيجاتيف مهزوزًا، ولن تتحسن الصورة إلا إذا تحسن أصلها.

وحول ما أثير عن وثائق الفاتيكان، فأرجو للمتحدث الذي تفضل بذكر ذلك أن يرسل إليّ نسخًا منها على عنواني التالي: (ص.ب. ٨١٣٨ القاهرة ١١٣٧١)، وذلك لأنني حريص على التعلم وأنا لا أعرف عن هذه الوثائق شيئًا، وكنت أعرف الدكتور موريس بوكاي شخصيًّا، وكنا على نحو ما أصدقاء، وأنا الذي تسببت في ترجمة كتابه "العلم في التوراة والإنجيل والقرآن"، وهو الكتاب الذي نُشر مرتين، مرة في دار المعارف ومرة ثانية في الرياض. كما كنت سببًا في ترجمة كتابه الآخر "ما أصل الإنسان؟"، ولم يكن له كتاب ثالث، وأعلم أنه لم يكن مسلمًا، فقد عاش مسيحيًّا ومات مسيحيًّا. وعندما سأله صديق عزيز باكستاني وكنا في باريس في مقر اليونسكو: "كيف لم تعتنق الإسلام وقد أَلَّفْتَ هذه الكتب؟"، فأخرج حافظته الشخصية وأخرج منها ورقة مطوية فيها آية سورة الحج التي تقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ

اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وقد قرأ هذه الآية وقال هذا هو إيماني، لكنه فيما أعلم لم يكن مسلمًا.

وحول ما ذُكر عن مؤتمر الحج، فإنني أتمنى حدوثه لكنه شبه مستحيل، وإذا أردت أن تُطاع فأمر بما يُستطاع، فمن بالله عليكم الذي سيجمع أكثر من ثلاثة ملايين حاج على أجندة واحدة، إن هذا يحتاج إلى حكومات ودول ومنظمات، وهذه الحكومات والدول والمنظمات غير موجودة. أما عن موضوع عدم الفصل بين وفود الحجيج، أقول إن الفصل ضروري لأنه ليس فصلاً ماديًّا، فالحجيج يتشاركون في الطعام والشراب والشعائر، لكن التنظيم الخاص بكل وفد من دولة أو من جمعية أو ما سوى ذلك ضروري وإلا ضاع الناس وسط الزحام. أما بخصوص المعارضة لوقف الحوار مع الفاتيكان، فالاعتراض حق لمن يشاء، فكما أضمن حق الآخرين يجب على الآخرين أن يضمنوا لي حقي، وقد ذكرت أسبابي في هذا الصدد. وحول المصلحة أقول إنه بالطبع المصلحة هي التي تحكم، ويا ليت حكامنا يأخذون بالمصلحة أيضًا كما تأخذ الدول الأخرى. وعن قوة البحث العلمي والإعلام، أقول إن ذلك في منتهى الأهمية لكن الإمكانات التي توفرها بلادنا له هزيلة جدًّا.

شمعي أسعد (مهندس):

إنني أشارك باعتباري أمثل الآخر القبطي في مصر، وأود أن أعلق على السبب في نفور البعض من كلمة "نصراني"، وهي ليست كلمة سيئة فكل الكلام حسن، ولكن طريقة استخدامها هي التي كانت سيئة، وقد سمعتها تُستخدم بأسلوب به إهانة من بعض المتعصبين، فهي ليست مكروهة في ذاتها، لكن الأجواء التي كانت تُقال فيها هي التي جعلتنا لا نحبها، فلو كان هناك ضمان بأن تُقال هذه الكلمة دومًا بشكل محب وراقٍ مثلما أقول أنا لأخوتي المسلمين "يا مسلمين" بمعنى جيد فلن يكرهها أحد، فليس هناك عداوة بيننا وبين الحروف. لكن، عندي فقط سؤال عن معناها الحرفي، هل هي بالفعل من كلمة "ناصري" مثلما نقول يسوع الناصري، لأصبح الجمع "ناصريون" وليس نصارى، ولن أجد أفضل من الدكتور محمد سليم العوا لكي يجيبني على هذا السؤال.

لي أيضًا عتاب على المداخلة التي تعلقت بالبابا بولس السادس، أنا شخصيًّا أعرف أنه مات مسيحيًّا، لكن حتى لو كان قد مات مسلمًا، فنحن قد أتينا إلى هذه المحاضرة لنتحدث عن الآخر بشكل أفضل وأرقى من أن نقوم بمعايرة بعضنا البعض بهذه الطريقة، لأنه حتى لو كان البابا بالفعل أسلم قبل وفاته، فهذا لن يضايقني ولن يسعدني، فهو في النهاية إنسان وله حريته.

أيضًا، بخصوص التعليق على التهنئة في الأعياد، أود أن أشير إلى أن لي صديق من الإخوان المسلمين رفض أن يهنئني مرة بالعيد لاعتقاده أنه عيد القيامة وهو لا يعترف بقيامة المسيح، وعندما عرف أنه عيد الميلاد فهنأني بقوله إنه يؤمن بميلاد المسيح ولذلك يهنئني! فتعجبت من هذا التصنيف، وقلت له إنني قلت له في رمضان "رمضان كريم" على الرغم من أن شهر رمضان لا يعني أي شيء بالنسبة لي، ولكنني على الرغم من ذلك أحبه وأحب أجواءه وأفطر كثيرًا مع أصدقاء مسلمين لي كما يتصادف أنني لا أتناول طعامي اليومي إلا في ميعاد إفطار المسلمين، كما أنني لا أؤمن لا بعيد الفطر ولا بعيد الأضحى، ولكنني أهنئ إخواني المسلمين بهما لأنني أراهما مناسبتين اجتماعيتين تزيدان من الارتباط والمحبة بين الناس، إذن، فإن التصنيف غريب والمبدأ غير مفهوم، وهناك لبس عند بعض المسلمين بأن من يهنئ المسيحيين في أعيادهم يرتكب ذنبًا.

كذلك، هناك من المسلمين من يقول إننا نأكل لحم الخنـــزير ولذلك لا يحضر مناسباتنا الاجتماعية، وأود أن أنبه إلى أننا مثل المسلمين في مصر نأكل من الطعام نفسه ونرتاد المطاعم نفسها، وأنا شخصيًّا لا أحب لحم الخنـــزير وأشمئز منه. ولا أعرف لماذا تسود روح الفرقة هذه؟ وتجدر الإشارة إلى أن المناسبات في الكنائس لا يقدَّم فيها أي طعام. وعلى سبيل المثال، إذا ذهبت إلى مكان تقدَّم فيه الكوكاكولا أرفض أن أشربها لأنني ببساطة لا أحبها، فالأمور تسير هكذا.

فتحي أبو عيانة:

نشكر المهندس شمعي أسعد كمواطن مصري له كل الحق فيما قال، وأود أن أضيف بعضًا من الملاحظات، فكل ما يحدث من أمور خاصة تتعلق بالعلاقة بين المسلمين والمسيحيين يتحدد بأن من يقترف السوء منها لا يفهم الإسلام، ورأيي الشخصي أن التفرقة في المعاملة بين المسلمين والمسيحيين والتفرقة بينهم على أساس اختلاف الدين بها عدم فهم للإسلام كما عرفناه في ضوء الكلام الرائع الذي سمعناه من الدكتور محمد سليم العوا.

مسألة أخرى أرجو أن يسمح لي بها الدكتور محمد سليم العوا تتعلق بأننا معشر أبناء هذا الوطن مشتتون في مفهوم الجهاد وفي مفهوم الشهادة، وعلى سبيل المثال ما يحدث على أرض العراق والتفجيرات التي تحدث من المسلمين إلى المسلمين، فهل هذا نوع من أنواع الشهادة؟ هذا أولاً، وفي فلسطين في الضفة الغربية عندما تحدث عملية ضد الإسرائيليين نقول شهداء، لكن عندما يقتل فرد من حماس فردًا من فتح نقول قتلى! وما أود أن أصل إليه هو أن ما صرح به الدكتور محمد سليم العوا فيما يتعلق بالفلسطينيين والإسرائيليين هو رأيه الشخصي كمحقق وكمفكر في الدراسات الإسلامية

وليس فتوى. وأعلق على ما أثاره بخصوص قتل الإسرائيليين، وأنا لا أتصور أن الإسلام يبيح قتل الأطفال والنساء حتى لو كانوا أولاد يهود، وخمس السكان في إسرائيل فلسطينيون مسلمون، وعندما ضربت صواريخ حزب الله إسرائيل، فإنها أصابت أيضًا عربًا ومسلمين، وما أدعو إليه حقًّا هو القتال المسلَّح مقابل الجيش الإسرائيلي، أما الطفل والمرأة والعجوز فإنهم في حماية حكومتهم، والرأي بقتلهم رأي شخصي وليس فتوى.

محمد سليم العوا:

اسمحوا لي أن أتطرق أولاً إلى لفظ "النصارى" وما قيل عن أن العيب ليس في الألفاظ ولكن في سياق قولها، أقول إنني لست مصممًا على استخدام هذه اللفظة، بل إنني أدعو إخواني المسلمين إلى ألا يستخدموا لفظًا أسيئ استعماله حتى أصبح عَلَمًا على شيء غير محبوب، ولفظة "النصارى" هي جمع "ناصري" وهي الصيغة العربية لجمع الاسم المنسوب إلى مكان، وهي صيغة صحيحة تعود إلى صيغ الجموع في اللغة العربية وليست مفتعلة ولا خاطئة، وهذا هو ما دل عليه علماؤنا، وإذا كان لها أصل آخر، فليس لدي مانع في أن أتعلمه. وعندما يقول الله تعالى ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾، فالقول هنا هو "أنصار الله" أي من ينصر كلمة الله وليس لها علاقة بلفظة "الناصري" التي تشير إلى الناصرة بلدة المسيح عليه السلام. وفي الحقيقة، إن لفظة "نصارى" استخدمت بالفعل كلفظ استهزاء وسخرية وإهانة، وكان يقال "نصراني عظمة زرقاء"، وهذا سوء أدب ولا يجوز قوله على وجه الإطلاق، وللمسيحيين كل الحق في أن يغضبوا عندما يوجَّه إليهم الكلام بهذه الطريقة، وعلينا واجب أن ندعو المسلمين ألا يستعملوا هذه الكلمة إذا كانت تضايق إخوانهم. وهناك الكثير من الألفاظ العادية التي تحولت إلى ألفاظ بذيئة لا يستطيع المواطن العادي أن ينطق بها، إن العُرف اللغوي يتغير، وليس معنى وروده في القرآن الكريم أن نضايق إخواننا به.

المسألة الأخرى متعلقة بفلسطين، وهو موضوع خطير ولا تصلح معه المجاملة ولا المزاح ولا الخوف من الحكومات ولا من الحُكَّام ولا من جورج بوش ولا من أولمرت ولا من الشيطان، إننا سوف نحاسَب على هذا الموضوع يوم القيامة، كل أرض فلسطين هي وقف للمسلمين وللمسيحيين، ولا يوجد شبر واحد من هذه الأرض إلا وهو وقف مسلم أو نصراني، فالمسلمون والمسيحيون أصحاب الحق الشرعي في هذه الأرض مكلفون بتحريرها، ونحن نقاتل الجيش الأمريكي الذي دخل العراق فقط ولا نقاتل الأمريكيين المدنيين الذي يدخلون العراق في صورة صحفي أو ممرض أو طبيب أو مهندس، فهؤلاء لا شأن لنا بهم، ونفعل الشيء نفسه مع الأمريكيين الذي يدخلون أفغانستان، أما

في فلسطين، فنجد عصابات مسلحة طردت أمة كاملة، كانت آمنة مطمئنة عزلاء، من أرضها، واستولت على هذه الأرض، وأقامت عليها دولتها، وهي تقتل في كل لحظة أطفالنا، وتقول الأرقام الأخيرة التي سمعتها من وسائل الإعلام العربية إنه يوجد ستة وعشرين ألف طفل معوق نتيجة للانتفاضة الأخيرة فقط، ولا أعرف ما مدى صحة هذا الرقم، إلا أن الصور التي تتدفق علينا من وسائل الإعلام تؤكده، وأشهرها صورة محمد الدرة التي حصلت على ١١٢ جائزة عالمية بعد نشرها على مستوى العالم، هذا هو أسلوبهم في حربنا، وكما يقول الشاعر:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجَّم

وأنا لا أقول اقصدوا ملاجئ الشيوخ الإسرائيليين فاقتلوهم، معاذ الله أن أقول هذا، وبالمناسبة لا توجد امرأة في إسرائيل ليست عضوًا في الجيش الإسرائيلي، كما أنه لا يوجد شاب فوق أربعة عشر عامًا ليس عضوًا في الجيش وحتى سن السبعين؛ أنا لست مؤهلاً للفتوى، فأنا مجرد طالب علم، لكن ما قلته أفتي به وألقى الله عليه يوم القيامة: الذين يرون أن عليهم واجب استنقاذ فلسطين من اليهود الصهاينة فليس هناك مانع يحول بينهم وبين مقاتلة كل الصهاينة على أرض فلسطين، فقط على أرض فلسطين وليس خارجها. إن للحكومات ضروراتها وللشعوب خياراتها، ويوجد قرار التقسيم ومعاهدة كامب ديفيد ومعاهدة العقبة الخاصة بالأردن ومعاهدة تأجير الأرض تسعة وتسعين عامًا لصالح إسرائيل، وكل هذا لا شأن لي به، إنني أتحدث عن الشعوب التي تقاتل استخلاصًا لحقها، هذا اعتقادي ... والله تبارك وتعالى أعلم.

فتحي أبو عيانة:

نشكر الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا على محاضرته القيمة وإلى لقاء آخر في منتدى الحوار.